استراتيجية التحوط في الخطاب الفلسفي
"المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري" لزكي نجيب محمود

أحمد محمد عبد الرحمن حسانين*
ahmed.hassanain2@art.aun.edu.eg

ملخص

التحوط استراتيجية تداولية وخطابية كونية (أي توجد في كل اللغات)، يوظفه المتكلمون لتعديل خطاباتهم عن قصد لتحقيق أهداف وغايات تواصلية وخطابية. ورغم أهمية التحوط وكونيته، لم يحظ في الدرس اللساني العربي الحديث بالعناية والاهتمام بمثل ما حظي به في الدراسات الغربية، إذ لم يقف الباحث– في حدود الاطلاع والتقصي– على دراسة واحدة تناولت التحوط. ورغم كونية المفهوم والمصطلح فإنه يشوبه تداخل وخلط مع مصطلحات أخرى كثيرة قريبة كالتوهين والتلطيف وغيرها، ليس عند ممارسة الترجمة إلى اللغة العربية فقط، بل في اللغات الأوربية أيضا؛ من هنا كان الدافع الأساس للبحث الذي يهدف إلى الكشف عن كنه الظاهرة، والوقوف على أنماطها التطبيقية الفعلية، من خلال نص فلسفي عربي أصيل هو كتاب "المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري" لزكي نجيب محمود؛ ليجيب عن أسئلة محورية: ما التحوط؟ وما فائدته في التواصل؟ ولماذا يلجأ المتكلم إليه؟ وما الوسائل اللغوية التي توظف في التعبير عنه؟ وإلى من يُوَجَّه؟ وما أوجه الاتفاق، وكذلك أوجه الاختلاف –من ناحية الوظيفية– بين التحوط والتوهين من جهة؟ وبين التحوط والتلطيف جهة ثانية؟ ومتى يكون التوهين والتلطيف تحوطا؟ ومتى لا يكونان كذلك؟ إذ ليس كل توهين تحوطا وليس كل تلطف تحوطا.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية– التحوط– الخطاب الفلسفي– المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري– زكي نجيب محمود– التوهين– التلطيف.

* أستاذ مساعد علوم اللغة ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب – جامعة أسيوط

التحوط ظاهرة خطابية تداولية كونية (أي توجد في كل اللغات)، وهو المكافئ العربي للمصطلح الغربي (Hedging)، الذي يوظفه المتكلمون –عادة– لتعديل خطاباتهم عن قصد لتحقيق أهداف وغايات تداولية ونصية. وقد حظي التحوط باهتمام كبير في الدرس اللساني الغربي الحديث، في مجال التداولية وتحليل الخطاب ونظريات التأدب، لكنه لم يحظ باهتمام مماثل في الدرس اللساني العربي الحديث. إذ لم أجد –في حدود الاطلاع والتقصي الواسعين، وفيما وقفت عليه من بحوث ودراسات عربية– دراسة عربية واحدة تحمل عنوان "التحوط"، أو تتناوله من قريب أو بعيد، اللهم إلا إشارات لم تتجاوز ترجمة المصطلح، أو فقرة عابرة في بحث أو بحثين. ورغم كونية المفهوم والمصطلح فإنه يشوبه تداخل وخلط مع مصطلحات أخرى كثيرة مقاربة، من بينها: التوهين (Attenuation)، والتلطيف (Mitigation)، إذ عادة ما يخلط الباحثون بين هذه المصطلحات –ليس عند ممارسة الترجمة إلى اللغة العربية فقط، بل في اللغات الأوربية أيضا– ربما لتشابه وظائفها في غالب الأحيان.

وقد تَغَيَّا هذا البحث الكشف عن كنه استراتيجية التحوط، واستعمالاتها التطبيقية، والوقوف على أنماطها الفعلية، واستخلاص مبادئها من خلال نص عربي أصيل؛ ليجيب عن أسئلة من قبيل: ما التحوط؟ وما فائدته في التواصل؟ ولماذا يلجأ المتكلم إليه؟ وما الوسائل اللغوية التي توظف في التعبير عنه؟ وإلى من يُوَجَّه؟ وما أوجه الاتفاق، وكذلك أوجه الاختلاف –من ناحية الوظيفية– بين التحوط والتوهين من جهة؟ وبين التحوط والتلطيف جهة ثانية؟ ومتى يكون

التوهين والتلطيف تحوطا؟ ومتى لا يكونان كذلك؟ إذ ليس كل توهين أو تلطف يكون من التحوط.

وقد وقع الاختيار على الخطاب الفلسفي؛ لمعرفة هل يوظف الخطاب الفلسفي استراتيجية التحوط كما يوظفها الخطابان: السياسي، والأكاديمي العلمي فقد أثبتت الدراسات الغربية أن الساسة والدبلوماسيين يوظفون التحوط في حواراتهم وخطاباتهم السياسية بكثرة، كما نوهت البحوث والدراسات التي أجرتها سلاجر ماير، وهايلاند، وكرمتن، وغيرهم إلى توظيف الباحثين الأكاديميين استراتيجية التحوط بشكل لافت في بحوثهم العلمية وخصوصا رسائل الماجستير والدكتوراه. وبذلك يكون هذا البحث استكمالا للجهود المبذولة بإضافة الخطاب الفلسفي إلى تلك الخطابات التي توظف استراتيجية التحوط.

وكان اختيار كتاب "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري" لزكي نجيب محمود (١٩٠٥- ١٩٩٣م)؛ لأسباب عديدة منها ما يتعلق بالمُصَنِّف، ومنها ما يتعلق بالمُصَنَّف. ففيما يتعلق بزكي نجيب محمود؛ فلأنه صاحب مشروع فكري تنويري، جمع بين الخطاب الأدبي بطبيعته وجماليات لغته، وبين الخطاب الفلسفي الذي يبدأ وينتهي بقوانين العقل. فهو كما وصفه العقاد "فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة". هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فلأنه مفكر عقلاني كثيرا ما يتحوط لأفكاره من النقد، ويقدمها في صورة غير جازمة تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ، إذ يصرح بذلك في كتابه "ثقافتنا في مواجهة العصر" قائلا: "الفرق كبير بين من يركن إلى عقله، ومن يركن إلى وجدانه، فأولهما يعلم أن أحكامه معرضة للخطأ؛ ولذلك تراه لا يكف عن مراجعتها... وأما ثانيهما فلأنه واهم في

ظنه بأن إدراكه الوجداني منزه من الخطأ تراه يقدم إقدام الواثق، ويصم أذنيه عن نقد الناقدين"[١]. فلكثرة المعارك والخصومات الفكرية التي خاضها مع مفكري عصره، التي تدعو بلا شك إلى لجوئه إلى استراتيجية التحوط، والانتقال من الأحكام المطلقة إلى الأحكام النسبية، ومن الأحكام اليقينية إلى الأحكام الاحتمالية؛ حتى يتفادى النقد إذا ثبت عدم صحتها، أو وجد من يثبت عكسها بالدليل في يوم من الأيام.

ووقع الاختيار على كتاب "المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري" (طبع عام ١٩٧٢م.)؛ لأنه يمثل المرحلة الثانية من مراحل حياته الفكرية والتي تمثل التحول في موقفه المعادي للتراث، والمنادي باستبعاده من النهضة الفكرية، لما فيه من بعض الخرافات، إلى موقف المهتدي الذي أدرك أنه يمكن الإفادة من الجوانب العقلية الناصعة فيه، واستثمارها في خدمة الحاضر الراهن. وكما هو واضح من عنوان الكتاب أنه سيحاكم التراث، وقضاياه، وأعلامه ويصدر أحكاما عليه، وَيَمِيْزُ المعقول فيه من اللامعقول، إذ حاكم بعض أفعال الصحابة، وأهل السنة، والغزالي، والمتصوفة، وحقيقة السحر من حيث حقيقة وجوده من عدمه. وبما أن الأحكام من حيث هي أحكام قد تحتمل الصواب أو الخطأ، خصوصا الأحكام الظنية التي تنعدم معها الأدلة الدامغة، فمن هنا يكثر استعمال التحوط بأشكاله المتنوعة كالتهرب من إصدار حكم قاطع في مسألة ما، والتنصل وتجنب الإدلاءات بتأكيدات صريحة، حيث يظهر في مظهر المتردد في الحكم، وغير المتيقن، وغير ذلك مما يجعل الكتاب مادة ثرية للدرس والتطبيق.

وسوف يعتمد البحث على المنهج التداولي الذي يهتم بالعلاقة بين النشاط اللغوي ومستعمليه ويولي عناية للسياق الشامل ودوره في إنتاج الخطاب وتفسيره، بيان الاستراتيجيات التي يتبناها منتج الخطاب في أثناء الاستعمال.

١- مفهوم الاستراتيجية Strategy:

"الاستراتيجية" كلمة واسعة الانتشار والاستعمال، عابرة بين معظم المجالات والتخصصات: كالمجال العسكري، والإدارة، والاقتصاد، والسياسة، واللسانيات. ومع مطلع القرن العشرين لم يعد مفهوم الاستراتيجية قاصرا على المجال العسكري. وفي نهايته أصبح المفهوم متعدد الاستعمالات، حتى إنه لَيَكَادُ يطلق على كل النشاطات، والممارسات الإنسانية المختلفة التي تنشد الأهداف.

يعرف هنري منتزبرج H. Mintzberg "الاستراتيجية" بأنها: "الخطّة" أو "الاتجاه"، أو"منهج" العمل الموضوع لتحقيقِ هدفٍ ما، وهي "المَمَرُّ"، أو "الجسر" الّذي يأخذنا من هُنا إلى هُناك، وهي "الأسلوب"، ونعني بذلك: "نمط" أو "طريقة العمل"(٢). ويشير معجم "الغني" وهو أحد المعاجم العربية المعاصرة إلى أنه "يقصد بها التخطيط وتحديد الوسائل التي يجب الأخذ بها في القمة والقاعدة؛ لتحقيق الأهداف البعيدة"(٣). وفي معجم اللغة العربية المعاصرة فهي: (خطة شاملة في أي مجال من المجالات)، و(براعة التخطيط)(٤).

لقد كان مصطلح "استراتيجية" من المصطلحات التي لفتت انتباه "فوكو" Michel Foucault، واسترعت اهتمامه؛ وبعد تدبر وتفكير عميق خلص إلى أن الاستراتيجية ذات معان عديدة، كل معنى منها يتناسب مع سياق بعينه، وبفحص الخصائص العامة للمصطلح، رأى أن الاستراتيجية عمل عقلي، يبنى

على افتراضات سابقة، ويتجسد من خلال أدوات تتوافق مع سياقات استعمالها، هذه النظرة مكنته من حصر معاني المصطلح في ثلاث دلالات رئيسة: الأولى– اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة، والمقصود بها العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما، والثانية– الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين، ولما يخال أن الآخرين سيتصورون أنه رأيه هو، أي الطريقة التي نحاول بها التأثير على غيرنا، والثالثة– تتعلق بالحيلة وتعطيل المنافس وتجريده حيث تدل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما؛ لحرمان الخصم من وسائله، وإرغامه على الاستسلام، ومن ثَمَّ، فالاستراتيجية تتحدد باختيار الحلول الرابحة(٥).

إذن نفهم من كلام "فوكو" أنه يربط "الاستراتيجية" بثلاثة أمور، هي: "العقل"، و"الاختيار"، و"الهدف". فهذه الأمور هي القاسم المشترك بين المعاني الثلاثة التي حددها آنفا، من حيث كون الاستراتيجية ميزة للتفكير عالي المستوى، الذي "يُخْتار"، ويستثمر في الصنو الآخر للاستراتيجية، وهو "التخطيط"؛ لتحقيق "الأهداف" المرسومة والغايات المنشودة. والهدف (وهو المبرر الحقيقي للاستراتيجية) زمنيا يسبق التفكير، والتفكير يستدعي الاستراتيجية المناسبة ويختارها. والناس مختلفون نسبيا في التفكير؛ ومن ثَمَّ في اختيارهم وتوظيفهم الاستراتيجيات، فما يصلح منها مع شخص، قد لا يكون كذلك مع شخص آخر. وما يصلح منها في سياق، ربما لا يكون مناسبا في سياق آخر. وهنا تكمن أهمية التكيف مع المتغيرات. كما أن الاستراتيجية تختلف من ثقافة إلى أخرى، ومن شخص إلى آخر داخل الثقافة الواحدة، بل تختلف –حتى في داخل

الشخص الواحد– من لحظة إلى أخرى، ومن حالة إلى أخرى. فكل واحد منا لديه عدد من الخيارات الممكنة لحل مشكلة معينة، أو توصيل فكرة معينة، فيوظف منها ما يناسب المشكلة، وما يساعد في توصيل الفكرة.

ومفهوم "الاستراتيجية" الذي يميل الباحث إلى تبنيه، ويؤسس عليه البحث، هو أن: "الاستراتيجية هي جملة الطرق، والأساليب الجارية عن اختيار ووعي في كل معالجة موجهة نحو الوصول إلى هدف ما". ويمكن تصور ذلك خطيا برسم خط يصل بين نقطتين، أولاهما هي الوضع الحالي، والأخرى هي الهدف المنشود، وعندئذ تكون الاستراتيجية مرحلة بين نقطتين، فكل ما يتعلق بفجوة الخط الواصل بين الوضع الحالي، والهدف هو الاستراتيجية. ويدخل في نطاقها التفكير، والتخطيط وفق ملابسات السياق، والمفاضلة بين الطرق والوسائل، واختيار أنسبها.

والخلاصة، وباستعارة مفهوم تلازم "وجهي العملة"، أو "وجهي الورقة" لفرديناند دي سوسير، عند إشارته إلى ارتباط الفكر بالصوت ارتباط ضرورة وتلازم لا يقبل الفصل، قائلا: "ويمكننا كذلك أن نشبه اللغة بورقة يمثل الفكر وجهها، والصوت قفاها، فلا نستطيع أن نقطع الوجه بدون أن نقطع في نفس الوقت القفا. وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللغة، فلا نستطيع فيها عزل الصوت عن الفكر، ولا عزل الفكر عن الصوت"(٦). نقول إن الاستراتيجية تتكون من وجهين متلازمين لا يمكن فصلهما، أو تصور أحدهما دون الآخر، أولهما– يتمثل في الجانب الذهني أثناء مرحلة الإنتاج، والآخر– هو التجسيد الفعلي لهذا الفكر في صورة عمل (وهو هنا عمل خطابي). وعلى هذا تكون استراتيجية التحوط هي

الطرق المتنوعة التي يرتكز عليها زكي نجيب محمود ويوظفها عن قصد في التحوط لأفكاره، من خلال وسائل لغوية يوظفها لتعديل خطابه وفق السياقات المختلفة كي تصل تلك الأفكار إلى القارئ بالقدر والكيفية المناسبة.

٢- مفهوم التحوط Hedging:

أ- التحوط في اللسانيات الغربية:

تدور الدلالة اللغوية لمصطلح التحوط في الثقافة الغربية حول: (الحفظ، والتعهد، والاهتمام بالأمر)، و(الحذر)، و(جلب المنفعة ودفع الضرر)، فكلمة Hedging في اللغة الإنجليزية كما في قاموس أكسفورد معناها: (سياج من الشجيرات)، و(حاجز)، و(أحاط)، و(سَيَّجَ)، و(راغ)، و(تَمَلَّصَ من الجواب المباشر)، و(راهن على جانبي الرهان لتفادي الخسارة)(٧). أما في الاصطلاح فلم يحظ التحوط بتعريف واحد متفق عليه، ولم يحظ بتسمية واحدة، إذ نجد له ألقابا وتسميات عديدة، وقد أدى هذا الاتساع إلى الخلط والتداخل، فهو عند جانيت هولمز (Downtoners مخففات النغمة)، وعند هاوس وكاسبر (Downgraders مخفضات الدرجة)، وعند جيمز (Compromisers التنازلات والتسويات)، وعند براون وليفنسون (Weakners المضعفات)، وعند كريستال وديفي (Softeners الملينات)(٨).

ولم يظهر مصطلح التحوط في الأدبيات اللسانية الغربية، ويصبح موضوعا للدرس اللساني إلا في عام ١٩٦٦ على يد فاينريش Weinreich عندما تناول العوامل اللغوية في إحدى دراساته. لكن المصطلح لم يكتسب أهمية إلا في أوائل السبعينيات، وبالتحديد على يد جورج لاكوف .Lakoff, G في

مقالته الشهيرة المعنونة بـ (Hedges: A study in Meaning Criteria and the Logic of Fuzzy Concepts التحوطات: دراسة في معايير المعنى ومنطق المفاهيم الضبابية)، التي لم يكن فيها مهتما بالقيمة التواصلية للتحوط، ولكنه كان مهتما بالخصائص المنطقية للكلمات والعبارات، من قبيل: (إلى حد كبير، ونوعا ما، وجدا)، ومدى قدرتها على جعل الأمور أكثر ضبابية أو أقل ضبابية، ومنذ ذلك الحين اكتسب المصطلح شرعيته، وذاع صيته وانتشر على أنه: "كلمات وظيفتها جعل الأمور أكثر ضبابية أو أقل ضبابية"(٩). وذكر لاكوف أن هناك درجات من القيم الحقيقية والقيم الخاطئة في اللغة، وأن التحوطات تجعل الجمل أكثر / أقل صوابًا، أو أكثر / أقل خطأ. ويرى أن الفكرة الرئيسة هي أن المفاهيم التي أسستها اللغة الطبيعية لها حدود غامضة، وتتسم بالنسبية وعدم الدقة؛ لذلك فإن الأقوال في كثير من الأحيان لن تكون صحيحة أو خاطئة تماما، بل تكون صحيحة أو خاطئة إلى حد معين، أو صحيحة بطرق معينة وخاطئة في أخرى.

ورغم أن لاكوف لم يتناول التحوط من الناحية التواصلية، لكنه أشار إشارات منطقية، كان لها عظيم الأثر على دارسي التحوط؛ ذلك أنه أشار إلى علاقة الأشياء والظواهر بالمقولة، ووقوعها في مركز المقولة، أو في موقع هامشي منها. ومثل لذلك بالطيور: (طائر أبو الحناء الأوربي الصغير الجذاب ويطلق عليه (Robin)، والنسور، والدجاج والبط، والبطريق، والبجع، والخفاش) ورأى أن Robin نموذجي بالنسبة للمقولة، أما النسور فهي أقل شيوعا؛ كونها مفترسة، وأما الدجاج، والبط، والإوز فهي أقل إلى حد ما، بينما البجع، والبطريق

فهي أقل في الانتماء للمجموعة، في حين أن الخفاش فبالكاد على الإطلاق؛ لضعف الصلة التي تربطه بالمقولة الرئيسة. فما عدا Robin تكون بقية الأنواع نسبية في الانتماء لمقولة (طائر). فلو قلنا: الدجاج طائر (كنا قريبين جدا من الحقيقة)، ولو قلنا: البطريق طائر (كنا قريبين من الحقيقة بدرجة أقل من الدجاج)، ولو قلنا: الخفاش طائر (كنا قريبين جدا من الخطأ)، ولو قلنا: البقرة طائر(كانت الجملة خطأ)؛ ولهذا عندما نريد التعبير عنها نستخدم التحوط، أو التقريب النسبي؛ لنكون أكثر دقة، وبدل قولنا على كل واحد منها: (إنه طائر)، نقول: (إنه نوع من الطيور)، لبعده النسبي في المنزلة والصلة الرابطة بالمقولة.

وبناء على التناول المنطقي للتحوط عند لاكوف Lakoff, G. أخذ اللسانيون فكرة التعبير النسبي، ورأوا أن التحوط وفق هذا التصور، هو: عناصر لغوية يستعملها المتكلم كي يدخل تحويرا على علاقة الفرد بالمقولة، ويقلل من درجة انتمائه إليها؛ فبين الحقيقة المطلقة، والكذب المحض خط استرسال، على نقطة من نقاطه يضع المتكلم –بحسب ما يستعمله من تحوطات– ما يسنده إلى الأخبار، والإثباتات من قيم الحقيقة(١٠). أي أن الأقوال والآراء المعبر عنها باستراتيجية التحوط تكون في درجة ما في المنزلة، بين التصريح التام وعدم التصريح، وبين الوضوح التام والغموض المطلق، وبين الالتزام التام وعدم الالتزام بمسؤولية الكلام.

بعد ظهور مقالة لاكوف الشهيرة على الساحة تَبَنَّى التَّحَوُّطَ كثير من العلماء، وانتقل المصطلح من المنطق إلى الأدبيات اللسانية، واتسع مفهومه اتساعا كبيرا. ووظفه براون وليفنسون في التعبير عن التأدب، وحفظ ماء الوجه،

ووظفه شانيل Channell في دراسة الغموض اللغوي المُتَعَمَّد، ووظفه كثيرون في غير ذلك من الأغراض والوظائف. وعلى مدى العقدين الماضيين كان هناك اهتمام متزايد عبر الثقافات بالتحوط في مجال البحث الأكاديمي،

ويرى كين هايلاند .Hyland K أن التحوط "هو التعبير عن التردد والاحتمال، وهو أمر أساسي للكتابة الأكاديمية، حيث تكون الحاجة إلى تقديم مقترحات غير مثبتة بحذر ودقة أمرا ضروريا، وأن أدوات مثل: (نوعا ما، وربما، وتقريبا) يتم استخدامها بشكل متكرر؛ لخلق الوئام، وتسهيل المناقشة، وإظهار الأدب، كما أنه قد ارتبط أيضا بنقل الغموض المقصود، وكوسيلة لإيجاد مسافة بين المتحدث وما يقال، حتى لا تكون المسؤولية عليه كاملة"(١١). ويذهب مايرز Myers إلى أن التحوطات جزء من نظام أوسع للتأدب وإظهار التواضع، يعالج التهديدات التي تتضمنها ادعاءات البحث العلمي الجديدة، وتهديد صورتهم الذاتية، وأنهم يتجنبون فرض قيود على رغباتهم وحريتهم في التصرف(١٢). ليس هذا فقط بل تعدى الأمر في مجال البحث الأكاديمي إلى المقارنة بين اللغات في توظيف التحوط أسفرت عن نتائج مهمة في علم اللغة التطبيقي في مجال تعلم اللغة الثانية توظيفها في الحوار والكتابة.

ب- هل عُرِفَ التحوط في التراث العربي؟

أما في معاجمنا العربية فلا تخرج دلالة التحوط اللغوية عن المعنى الحسي: (الشيء يحيط بالشيء)، أما المعاني المجازية، فمنها أن التحوط يعني: (الحفظ والتعهد، والرعاية)، و(الوقاية)، و(العناية والاهتمام). ففي تاج العروس: "(حاطه) يحوطه، حَوْطًا، وحِيطَة، وحِياطة بكسرهما: (حفظه وصانه)، وكلأه،

ورعاه، وذَبَّ عنه، وتَوَفَّرَ على مصالحه و(تَعَهَّدَهُ)... و(تَحَوَّطَه) مثل حَوَّطَه، يقال لا زلت في حِيَاطَةِ الله ووقايته. وهو يَتَحَوَّط، إذا كان يَتَعَاهَدَهُ وَيَهْتَمُّ بأمره"(١٣).

أما التحوط في الاصطلاح في تراثنا الثقافي، فإذا أردنا التعريف وجدنا أنفسنا أمام مصطلحات عديدة متداخلة فيما بينها أحيانا، ومتباعدة حينا آخر، وتقترب من مفهوم المصطلح الغربي حينا وتبتعد أحيانا، ومن هذه المصطلحات على سبيل المثال: (الاحتراز، والتذييل، والتتميم، والتكميل، والمواربة، والكناية).

وأقرب المصطلحات العربية من المفهوم الغربي للتحوط هو "الاحتراز". وأول من أشار إليه إشارة عابرة دون تسمية هو الجاحظ، تحت باب أطلق عليه "إصابة المقدار"، ابتدأه بقوله: "ويذكرون الكلام الموزون ويَمْدَحُونَ به، ويُفَضِّلُوْنَ إصابة المقادير، ويذمون الخروج من التعديل". ومن ضمن ما استحسنه الجاحظ للتدليل على كلامه بَيْتُ "طَرَفَةَ" الذي يقول فية:

سَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا		صَوْبُ الرَّبِيْعِ وَدِيْمَةٌ تَهْمِي

وقد عَلَّقَ الجاحظ عليه بقوله: طَلَبَ الغَيْثَ على قدر الحاجة؛ لأن الفاضل ضَارٌّ وقال رسول الله" (اللهم اسقنا سقيا نافعا)؛ لأن المطر ربما جاء في غير إبَّان الزراعات، وربما جاء والتمر في الجرن، والطعام في البيادر، وربما كان في الكثرة مجاوزا لمقدار الحاجة، وقال النبي اللهم حوالينا لا علينا(١٤). ونقف هنا عند إشارة مهمة تجعل الجاحظ في مصاف علماء اللسانيات الغربيين بل قد سبقهم بقرون وهي قوله: "ويذمون الخروج من التعديل" التي يفهم منها أن عبارة "غير مفسدها" هي تعديل خطابي بإضافة عناصر زائدة على المحتوى الإخباري

الأساس الذي هو "سقى ديارك صوب الربيع وديمة تهمي"، لتحقيق الهدف الذي ذكره آنفا. ويكون بذلك قد سبق جانيت هولمز وغيرها في اكتشاف مفهوم تعديل القوة الإنجازية للخطاب Modifying illocutionary force .

أما أول من أطلق الاسم، فهو القزويني الذي يسوي بين التكميل والاحتراس، وكلاهما يدرجه القزويني تحت "إطناب التكميل" فقال إنّ طُرُقَ الإطناب: "... وإما بالتكميل، ويسمى الاحتراس أيضا، وهو أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه"(١٥).وقد ساق القزويني الأمثلة نفسها التي ساقها الجاحظ في تمثيله لإصابة المقدار.

ومن المصطلحات العربية القريبة أيضا من مفهوم التحوط في اللسانيات الغربية، هو مفهوم المواربة، ويعرفها ابن الأثير بقوله: "المواربة حقيقتها أن يقول المتكلم قولا يتضمن ما يُنْكَرُ عليه، فَيَسْتَعِدُّ لما يتخلَّصُ من الإنكار بجواب حاضر، أو حجة بالغة، أو تصحيف كلمة، أو تحريفها، أو زيادة، أو نقص"(١٦). وقد ساق ابن الأثير قول عَتْبَانَ الحَرُوْرِيِّ، وهو أحد أنصار شبيب الخارجي الذي نادى بالخلافة لنفسه، فأرسل الحجاج جيشا لقتاله بأمر من الخليفة، فَمَاتَ وَأُسِرَ عَتْبَانُ الحَرُوْرِيُّ الذي نظم قصيدة اعتذارية للخليفة؛ كي يصفح عنه، منها هذان البيتان

"فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرْوَانُ وَابْنُهُ وَعَمْرٌو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيْبُ

فَمِنَّــا حُسَيْنٌ وَالْبُطَيْـنُ وَقَعْنَبٌ وَمِنَّا أَمِيْـرُ المُؤْمِنِينَ شَبِيْبُ"

فطلبه الخليفة بشأنها، فقال له أنت القائل (ومنا أميرُ المؤمنينُ شبيبُ)، فقال عَتْبَانُ ما قُلْتُ إلا: (وَمِنَّا أَمِيْرَ المؤمنين شبيب)، بفتح الراء، يعني (يا أميرَ المؤمنين)، فاستحسن اعتذاره وأطلق سراحه. فَعَتْبَانُ الحَرُوْرِيّ هنا وَارَبَ من خلال اللعب على التشكيل النحوي للكلمة، بوضع فتحة على راء كلمة (أمير)؛ ليخفي حقيقة الرسالة، وليوهم أن وظيفتها نداءٌ لا خبر، وَإِنْ كان اعتقاده ونيته غير ذلك؛ لأنه يتبنى مذهب الخوارج، الذين يعتقدون بأن شبيب أولى بالإمارة. ولكن الخليفة لا يمتلك الدليل على تلك النية من ظاهر القول؛ لعدم وجود تسجيل صوتي في ذلك الوقت، يعيد على الأسماع ما تلفظ به عَتْبَانُ. ورغم تطابق وظيفة المواربة هنا مع وظيفة التحوط في اللسانيات الغربية، من حيث دلالته على التهرب، وطرح المسؤولية من تبعات الكلام وعواقبه، وما كدنا نحكم بأن المواربة في البلاغة العربية هي التحوط بالمفهوم الغربي، وجدنا أَنَّ جميع ما استقرأناه من شواهد كانت فيه المواربة بحسن تصرف، من خلال تحريف الكلام بعد وصوله للمتلقي، لا قبل إرساله من المتكلم. وبذلك تكون المواربة عكس التحوط الغربي أيضا، من حيث لحظة الإنتاج، كما أن المواربة نوع من المغالطة، والمخاتلة، والكذب، والدهاء، والإحجام بتغيير المعنى، في حين أن التحوط بالمفهوم الغربي يكون باعتراف وقصد المتحوط.

وخلاصة القول، إن مفهوم التحوط في الدرس البلاغي العربي تَوَزَّعَ على عدد من المصطلحات، كانت كلها للتحوط من فهم غير المقصود؛ بهدف التوكيد على المقصود، وإبرازه، وتوضيحه، وهي معانٍ تعزيزية. في حين أن التحوط في اللسانيات الغربية يستعمل في التوهين. ومن ناحية أخرى فَإِنَّ التحوط في الدرس

العربي يستعمل في إزالة الشك والغموض، في حين أن معظم وظائفه في اللسانيات الغربية، إنما هي لجلب الغموض، والتهرب من إصدار أحكام قطعية، والتعبير عن مدى التردد والشك. أي أن وظيفة المصطلح في الدرس التراثي العربي عكس وظيفته في اللسانيات الغربية.

أما في الدرس النحوي، فلم يكن لفظ (التحوط) غائبا عن الذكر، ولكنه ليس بالمفهوم الحديث الشامل، ولا إلى الحد الذي نقول فيه إنهم وقفوا على المصطلح بكافة تفاصيله، وإنما حاموا حول الحمى. وكان تركيزهم على النواحي الإعرابية والتركيبية، التي قليلا ما تقترب من المفهوم الحديث للتحوط، وكثيرا ما تبتعد عنه. خصوصا حينما يتعلق الأمر بالتوكيد. وهو يعد من قبيل تعزيز القوة الإنجازية، وليس إضعافها كما هو معروف عن التحوط في لسانيات تحليل الخطاب والتداولية. فحينما يقول ابن جني "إن العرب كانت تميل إلى الإيجاز، وحذف فضول كلامهم، هذا مع أنهم قد يمكنون ويحتاطون وذلك في التوكيد بنحو: جاء القوم أجمعون، أكتعون، أبضعون، أبتعون"[١٧] إنما يقصد التوكيد ورفع الاحتمال، وإبعاد الشك. ولعمري إنه لمفهوم مغاير، ومعكوس لمفهوم التحوط في الأدبيات اللسانية الذي التي توظف التحوط للتعبير عن الشك والاحتمال، لا رفعهما وإبعادهما.

ولم يقف ابن جني عند هذا الحد، وإنما ملأت إشارته كتاب الخصائص، وقد عقد بابا سماه "في باب الاحتياط" ابتدأه بقوله: "واعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له"[١٨]، وذكر منه أنواعا عديدة منها التوكيد، والاحتياط في التأنيث، والاحتياط في إشباع معنى الصفة، وإعادة العامل في العطف والبدل

وما لبث أن اختتم الباب بقوله: "ووجوه الاحتياط في الكلام كثيرة وهذا بابها فانتبه"[١٩]. وتعد إشارة السيوطي عند تناوله لمعنى (أو) إشارة تتفق تماما مع وظيفة التحوط بالمفهوم الغربي ، إذ يقول: "أو حرف عطف ترد لمعانٍ: الشك من المتكلم، نحو قوله ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾، والإبهام على السامع نحو ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ ﴾"[٢٠].

أما التحوط في الدراسات الشرعية فيطلق عليه (الاحتياط) وهو بعيد عن مجال دراستنا هنا، لأنه متعلق بالأحكام الاجتهادية ومقامات استنباطها والعمل على خدمة مقاصد التشريع في حفظ مصالح العباد عاجلها وآجلها من حيث إن "الاحتياط ترك ما يريب المكلف إلى ما لا يريبه"[٢١]، وهو "الاحتراز من الوقوع في منهي، أو ترك مأمور عند الاشتباه"[٢٢] أي أن المتحوط في الدرس الشرعي يختار الفقيه حكما، ولا يبني تركيبا لغويا. بينما المتحوط في الدرس اللساني يبني تركيبا لغويا من خلال عناصر لغوية زائدة على المحتوى القضوي الأساس، وفرق بين الاختيار والبناء؛ لهذا السبب لا نتطرق بالإشارة إلى التحوط في الدرس الشرعي.

ج- مفهوم التحوط في البحث:

أما عن تعريف التحوط الذي يقترحه الباحث ويبني البحث على أساسه، فهو: (التحوط: استراتيجية خطابية ونتاج عمليات عقلية ونفسية واجتماعية تواصلية، يوظف فيها المتكلم عناصر لغوية، غالبا ما تكون زائدة عن المحتوى القضوي؛ لتعدل من درجة انتماء الرأي إلى المعيار النموذجي للحكم، بإضعاف قوة الكلام المنطقي، في مواجهة التهديدات المحتملة في الاتصال، وذلك من

خلال تقديمه الآراء والمقترحات على أنها آراء شخصية، تقع في نقطة ما على مقياس النموذج، قد تكون منخفضة نسبيا أو مرتفعة نسبيا، بدلا من تقديمها على أنها حقيقة مطلقة. وتستخدم هذه الاستراتيجية في المواقف التي يريد فيها المحافظة على صورته العامة ووجهه الإيجابي الذي يحتاج إلى حمايته أمام المتلقين. وتتفرع استراتيجة التحوط إلى استراتيجيات فرعية عديدة نستخلصها إن شاء الله من خلال البحث.

٣- علاقة التحوط بالمصطلحات الأخرى القريبة:

أ- علاقة التحوط Hedging بالتوهين (Attenuation)؟

لا شك أن مفهوم توهين القوة الإنجازية أسبق ظهورا في ساحة الدرس اللساني الغربي من مفهوم التعزيز. وموقف المتكلم من التوهين عكس موقفه من التعزيز؛ إذ في التوهين يُتَجَنَّبُ عادة الوقوع في الوثوقية، وتُخْفَضُ درجة الالتزام، فلا يضع المتكلم نفسه في موضع المتيقن تماما من صحة الطرح، بل يضعها "في موضع لا يظهر من خلاله معتقدا في صحة القضية التي يعبر عنها"(٢٣)، بل يقدمها على أنها مجرد رأي. فقد تدعو السياقات إلى اللجوء لعدم القطع بالرأي الحاسم، وتقديم المعلومة بصورة مخففة يكون مدارها القضايا لا الألفاظ.

فحينما نقول: (فلان غبي)، فالقول يمثل درجة معينة من درجات سُلَّم الإثبات القوي؛ ولهذا فهو يختلف عن قولنا: (فلان غبي إلى حد ما) الذي يمثل درجة أقل من درجات الإثبات؛ إذ نكون قد أَوْهَنَّا ذلك الإثبات. وبحذف المركب المُوْهِنَ (إلى حد ما) نحصل على المحتوى القضوي ومضمون القضية العام، ولكن تصبح الجملة واضحة ومثبتة، وتقع مسئولية الكلام كاملة على المتكلم،

وربما جَرَّت عليه من المشاكل المترتبة على التصريح ما هو في غنى عنه؛ فلا يمكنه عندئذ التهرب من تبعات الكلام. وخلاصة القول أن المتكلم باعتماده على استراتيجية الإضعاف يقلل من درجة انتمائه لما يخبر عنه. ولم يكن مفهوم الإضعاف غائبا عن ذهن قدامى علماء العربية، ونلحظ ذلك من إشارة الشيخ خالد الأزهري في إشارة عابرة نسبها لابن عصفور في حديثه عن التوكيد قائلا: "ونَصَّ ابن عصفور على أن التوكيد يُضْعِفُ احتمال المجاز ولا يرفعه البتة"(٢٤).

نفهم من الكلام السابق أن التحوط قد تطابق مع التوهين، وهذا سبب الخلط الذي وقع فيه كثير من الباحثين الذين اعتبروا أن المصطلحين مترادفين ومن هؤلاء التشيكية ناديجدا كودرناتشوفا Nadežda Kudrnáčovaالتي عدت المصطلحين مترادفين من خلال تصريحها بأن:" التوهين(Attenuation): أحيانا يطلق عليه التحوط (Hedging)، أو التلطيف (mitigation)، أو الإضعاف (weakening) (٢٥). مع أن كل استراتيجية من هذه الاستراتيجيات وإن اتفقت في الوظيفة العامة فَإِنَّ بينها من العموم والخصوص ما يفرق بين واحدة منها وأخرى. فليس كل توهين للقوة يكون من قبيل التحوط؛ لأن التوهين قد يتعلق بالأدب، والأدب لا يستدعي التحوط في كثير من السياقات، بينما كل تحوط هو في الأصل توهين.

والتحوط Hedging نوع من أنواع إضعاف القوة الإنجازية، ولكننا نرى ضرورة وضعه في استراتيجية مستقلة؛ إذ يختلف الإضعاف عن التحوط في أنه ليس كل إضعاف تحوطا. ويمكن في نظرنا إدراج التحوط (Hedging) مع الإخفاء (Suppression) تحت استراتيجية أشمل نطلق عليها استراتيجية

التملص (Evading)، ومعناها في اللغة "اللجوء إلى الهروب ببراعة أو حيلة"، ولا يبعد الاستعمال عن المعنى اللغوي يعني فالتملص يعني أن يمرر المتكلم رسالته بشكل موارب يبدو فيه وكأنه يتحلى بالموضوعية، وهذا يجعله خارج نطاق المسئولية؛ لأنه لم يصرح.

ب- علاقة التحوط Hedging، بالتلطيف (Mitigation):

يرجع أصل مصطلح التخفيف Mitigation إلى اللاتينية حيث تعني Mitigare (لجعلها معتدلة، أو لطيفة) وهي مكونة من شقين: (Mitis) وتعني: "لطيف، أو ناعم"، والجذر (Agere) ويعني: (افعل، أو اجعل، أو حدث). وترتبط التسمية والمفهوم أساسا بالعلوم والسياقات البيئية، مثل: (تخفيف المخاطر، وتخفيف الزلازل، وتخفيف أضرار التعرية، وتخفيف مخاطر الدراجات وغير ذلك[٢٦]، ثم انتقلت بعد ذلك إلى اللسانيات، وغيرها من العلوم. واستراتيجية التلطيف فرع من استراتيجية الإضعاف الكبرى، وتختلف معها في الداعي، وفي نوع الفعل المراد تخفيف وقعه في نفوس المتلقين، وتقليل حدته. إذ يميل الكتاب إلى التلطيف عندما يريدون أن يكون كلامهم أقل صدمة، أو أكثر متعة، أو أكثر صدقا، فيستبدلون بالكلمات البغيضة المشينة أخرى غير مباشرة، أو أكثر ليونة. وبذلك يتوافق مفهوم التلطيف مع مفهوم التَّلَطُّف، أو اللا مساس والمحظور اللغوي في الثقافة العربية الإسلامية.

إذن عندما يستبدل الكتاب والمتكلمون كلمات غير محببة بأخرى لطيفة في الحالات التي ينبغي تجنب الأولى؛ لأسباب تتعلق بالمحظور الديني، أو الوساوس الأخلاقية، أو المجاملة، أو كسب المخاطب، فإننا نكون قد قمنا

بتلطيف الخطاب. وبناء عليه تعرف استراتيجية التلطيف بأنها: "استعمال كلمة، أو عبارة، مكان تعبير يعد صريحا ومكشوفا، أو فظا، أو مُنَفِّرًا، أو لاذعا، أو جارحا"(٢٧). وعلى هذا يوصف التعبير الملطف بأنه "بديلٌ غيرُ مُؤْذٍ"، واستبدالٌ واعٍ، يتم تقديمه لشغل المساحة التي يتركها المحظور، حسب الدافع النفسي الكامن في الخوف، أو المجاملة، أو الحشمة، أو اللياقة. ويشير جوميز Gomez, M. إلى أن التعبير الملطف "يوفر طريقة للتحدث عما لا يوصف... ويقع في منتصف الطريق بين خطاب شفاف، وحظر شامل. إنها منطقة اللغة الآمنة المحتملة، والتي تقيدها اللياقة"(٢٨).

والتلطيف يصنف تحت الاستراتيجية التضامنية، التي تقوي العرى بين المتكلم والمخاطب فيما يتعلق بالالتزام، وخلق الوشائج الحميمية والاتفاق، ومن ثم التأثير. فالصيغة المهذبة لها مفعول السحر في استقطاب الآخر، وتوصيل الغرض بأيسر طريق. فإذا كانت اللغة في المنظور التداولي أداة لتغيير الواقع، وفق المنوط من القوى الإنجازية المقصودة، فإنها أيضا عند الاستعمال تنبئ عن الذات المتكلمة، وطبعها، وطبيعتها الشخصية (من حيث الثقافة، أو التفاهة، ومداهما، ومن حيث التواضع، أو التَّكَبُّر)، وكذلك مدى الثقة والمصداقية في القول، أو الاضطراب والكذب، وغير ذلك. فقد يطلب منك سائل حاجة معك فتقول له: (تفضل على الرحب والسعة)، وقد يطلب رئيس من مرؤوس أداء عمل فيجيب: (لا ولن أفعل، ما استعبدتني لأفعل، أو يفعل فلان). وفارق بين الموقفين، فالتأدب أو عدم التأدب انعكس من خلال اللغة.

وحتى لا نكون مجانفين فنظلم الموظف لابد من استحضار الموقف كلية، بمعنى: هل العمل المراد يندرج ضمن مهام عمل الموظف داخل نطاق المؤسسة؟ أو هو خارج عن ذلك، كأن يكون العمل يتعلق بالأمور الشخصية للمدير؟ وهنا يبرز دور طريقة العرض، ومدى العلاقة بين المدير والموظف.

وقد يكون التلطيف لإظهار التوافق، ونقصد به تقليل الاختلاف مع المخاطب، وزيادة التوافق معه، وتقريب المسافات بخلق منطقة مشتركة، وذلك باستعمال أفعال تدل على المشاركة من قبيل: (نتفق، ونفهم،...)، وباستعمال بعض الظروف الدالة على المشاركة مثل: (معا)، واستعمال صيغة التكلم بالجمع، لا المفرد، وقد يكون إظهار التقارب في الرؤية، وذلك من خلال إشراك المخاطب في إنجاز العمل، وقد يكون التلطيف للتعاطف، ونقصد بها مراعاة المخاطب وشعوره ورغباته.

مما سبق يتضح أن الفرق بين التحوط، والتلطيف، يكون من ناحيتين: الأولى- تتعلق بعناصر التركيب في علاقتها بالمحتوى القضوي للجملة، من حيث المحافظة، أو زيادة عناصر عليه. فالتلطيف عادة ما يحافظ على المحتوى القضوي، ويكون تصرف المتكلم فيه هو في اختيار البدائل اللغوية الملطفة، بينما التحوط يكون بزيادة ألفاظ على محتوى القضية الأساس للتعبير عن الغرض؛ ولهذا فإن استراتيجية التحوط تتحدى مبادئ جرايس Grice's Maxims؛ حيث تخترق مبدأين من قاعدتين مهمتين، إذ تدحض المبدأ القائل: (كن مقتصدا) المتفرع عن (قاعدة الكم) Maxim of quantity، التي تقول:(اجعل مخاطبتك إخبارية بالقدر المطلوب)، وكذا تدحض مبدأ الوضوح

القائل: (كن واضحا ومبينا بتجنب الغموض واللبس) المتفرع عن قاعدة الطريقة Maxim of manner، حيث تخترق هاتين القاعدتين لدواع قصدية تواصلية، قد يبدو من الناحية الشكلية أنها أكثر من اللازم المطلوب لكنها لها دور عظيم كبنية خطابية تواصلية.

والناحية الثانية– تكمن في الوظيفة؛ فالتحوط يختلف عن التلطيف في كونه من ناحية التواصل الفعال: العقلاني، والنفسي، والاجتماعي يقدم معلومات يمكن وصفها بأنها غامضة، أو غير دقيقة، أو مشكوك في صحتها، كما أنه يستعمل في الإخفاء، والتلاعب بالنص في التعبير عن الطرح. وهذا خلاف لما يوظف فيه التلطيف لدواع عديدة منها: الخوف، والكياسة والتأدب، والخجل والاحتشام.

٤– إلى من يتوجه التحوط؟

أ– التحوط الموجه نحو المتكلم Speaker–oriented Hedge:

يشتمل هذا النوع من التحوط على أدوات لغوية تُستخدم للتعبير عن شكوك المتحدثين، وعدم اليقين فيما يتعلق بصحة الاقتراح المعين؛ إذ يلجأ المتكلم أحيانا إلى عدم القطع فيما هو بصدد الحديث عنه في بعض السياقات الخاصة، التي قد تكون معلوماته حول الموضوع غير كافية، أو أنه يريد أن يقدم المعلومة في شكل موارب. فالمتكلم –كما تشير جانيت هولمز– يلجأ أحيانا إلى توهين خطابه؛ ليعبر عن تحفظه إزاء فعل كلام معين، حيث تركز بعض هذه الأدوات بشكل خاص على شكوك المتكلم فيما يتعلق بمصداقية، وصحة القضية التي يعبر عنها. ويندرج تحت هذه الفئة الأدوات المعجمية التي تستخدم صيغا،

وأشكالا شخصية تعبر عن الجهة المعرفية Epistimatic Modality، نحو: (يبدو لي، وفي رأيي)، وكذلك بالصيغ الاعتراضية parenthetical Forms، نحو: (أنا أعي، وأنا أظن، وأنا أفترض وأنا أعتقد). وتركز بعض الأدوات الأخرى على تحفظات المتحدث فيما يتعلق بتفسيره، أو تبريره للفعل الكلامي الذي يعقبها. ويوضح ذلك كثير من الأمثلة التي قدمها فريزر B. Fraser للتمثيل على أدوات التنصل من المسؤولية، التي تشير إلى احتمالية أن يكون المتحدث مخطئا، أو غير دقيق، مثل: (إن لم أكن مخطئا If I'm not mistaken)، و(إن لم أكن أسأت فهمك Unless I misunderstood you)، و(إلا إذا كنت سمعتها خطأ Unless I heard it incorrectly)[٢٩].

وإذا كان التحوط الموجه نحو المتكلم يتم التعبير عنه في اللغة الإنجليزية من خلال قوالب تعبيرية، تتمثل في عبارات فعلية لها شكل [ضمير الشخص الأول المفرد I + فعل معرفي إدراكي: (أفترض، وأعتقد، ولا أعتقد، وأظن، ولا أظن، أفترض...)]، ففي العربية غالبا ما يسقط الضمير من الكلام، ويعبر بالفعل مباشرة. وسواء ذُكِرَ الضمير في الكلام، أو سقط منه، فإن ما أطلقت عليه جانيت هولمز "قوالب تعبيرية" يشكل جملة في العربية، والجملة تنتمي إلى التركيب لا المعجم. أي أن العربية تؤدي التحوط الموجه نحو المتكلم بجملة كاملة أو بجزء من جملة.

ومن الأمثلة قول زكي نجيب محمود: "لكن تُرَى ما الذي دعا الجاحظ إلى هذا التعليق؟ أيكون قد لاحظ نقصًا وتشويهًا فيما قرأه مما نقل المُتَرْجِمون إلى العربية، لا بمراجعته الترجمةَ على الأصل؛ لأنه فيما أظن لا يعرف إلا العربية

وحدها"(٣٠). نلحظ من خلال توظيف زكي نجيب محمود أداة التحوط (فيما أظن) في هذا المثال عدم تيقنه التام في صحة المعلومة التي يطرحها، وهي (أنَّ الجاحظ لا يعرف إلا العربية)؛ فمعلوماته حول إجادة الجاحظ الترجمة عن اللغات الأجنبية (التي كان لها باع في ثقافة عصره كاليونانية، والهندية، والسريانية، والفارسية) لا يتوفر لديه دليل واحد يثبتها، وليس لديه دليل على أنه كان يمارس الترجمة أو يمتهنها؛ لأنه لم يُخَلِّفْ عملا مترجما يحمل اسمه. وفي الوقت نفسه أيضا لا يوجد لديه دليل يثبت عكس ذلك (أنه لا يجيد الترجمة) خصوصا في ظل ازدهار حركة الترجمة وكثرة المترجمين في عصره. ويزكي هذا الافتراض أنه قد عالج في كتابه "الحيوان" قضية الترجمة وشروط الترجمان معالجة خبير متمرس، ولا يسع المقام هنا لتناول تلك القضية، وهذا يؤكد كلام السيرافي ونصه: "فأما ظننت وحسبت وخلت فمعناها واحد وهو أن تتصور الشيء من غير استثبات ولا دليل عليه"(٣١). فهذه الأدوات تعبر عن درجة من درجات الاعتقاد، التي تفتقر إلى الدليل والسند الذي يؤيد صحة المعلومة.

إذن زكي نجيب محمود يقف بين اعتبارين لا دليل على أيهما بشكل قاطع: الاعتبار الأول– أن الجاحظ يمتهن الترجمة، ويجيدها –خصوصا عن الفارسية– لأنه نشأ بالبصرة قرب بلاد فارس، ويعلي من شأن هذا الافتراض أيضا تناوله لقضية الترجمة وشروط الترجمان تناولًا يتفق مع نظرية الترجمة المعاصرة ويزكيه أيضا تدوينه في كتابه "المحاسن والأضداد" بعض الجمل والألفاظ عن الفارسية. والثاني– أنه لا يجيد الترجمة، وإنما كانت ثقافته مكتسبة من الكتب المترجمة ومخالطته المترجمين أنفسهم ومناقشتهم (كإسحق بن حنين

وسلمويه). إذن معلومات زكي نجيب محمود حول القضية غير كافية، ولا تمكنه من إصدار الحكم؛ لافتقارها الدليل القاطع، فهي مجرد افتراضات؛ لهذا استعمل أداة التحوط (فيما أظن)؛ ليتهرب من إصدار حكم قد يؤخذ عليه (إذا وجد فيما بعد من يثبت خطأه وعدم صحته) فيكون بذلك قد تجرد من مسؤولية تصديق الكلام المطروح؛ لأنه قدم المعلومة في شكل ظني، وترك للمتلقي مسؤولية التصديق، وفتح لنفسه بابا يمكن أن يدافع به عن نفسه في حالة ثبوت خطأ زعمه، وهذا يدفع نحو القول بأنَّ التحوط استراتيجية ذاتية الانعكاس.

ب-التحوط الموجه نحو المتلقي Hearer-oriented Hedge:

يوظف المتكلم في بعض السياقات مجموعة من الوسائل اللغوية التي تتصل بالمتلقي، وتعتمد على قدرته أو رغبته في التعاون مع المتكلم، نحو: (يمكنك كذا)، و(تستطيع كذا)، وغيرها، وكذلك بعض القوالب التعبيرية التي تنم عن تهرب المتكلم، وتنصله ورغبته في الإيعاز إلى المتلقي بأداء الفعل دون إرغامه، أو التهرب من الطلب بطريقة فيها قوة، مثل: (إذا لم أسبب لك إزعاجا)، و(إذا لم يسبب ذلك متاعب كبيرة)، و(إذا أحببت)، و(إذا سمح وقتك أو ظرفك)، و(إذا كان بإمكانك)، و(إذا لم يكن لديك مانع)، و(إن شئت)، و(إذا كنت متأكدا من إمكانية ذلك)، وغير ذلك من التراكيب التي غالبا ما تكون مسبوقة بأفعال الكلام التوجيهية (أفعال السلوك)[٣٢]. ويضيف محمد العبد أنه "ربما صاحبت مثل تلك المكونات منطوقات إخبارية، مثل: أدعوك إلى الغداء غدًا (إذا أحببت)، و(إذا لم تكن مشغولا، فسوف أزورك مساء اليوم"[٣٣]. يتضح مما سبق أن التحوط الموجه نحو المخاطب يتم من خلال تراكيب شرطية مصاحبة لأفعال

الكلام التوجيهية والخبرية، وغيرها من الوسائل الدالة على أن الكاتب يؤطر خلفية مشتركة مع القارئ، ويراعيه بأن يقدم له المعلومة لا على سبيل الإجبار، بل على سبيل الاقتراح، ولهذا نرى زكي نجيب محمود يُكْثِرُ من عبارات: (يمكن للقارئ)، و(أترك لك)، و(لك أن تعتقد)، و(لك أن تنظر)، و(لك أن تتقصى)، و(لك أن تقارن)، و(لك أن تقيس)، و(لك أن تستدل)، و(لك أن تقرب)، و(لك أن تصنف)، و(لك أن تسمي)، و(تستطيع أن)، و(يمكنك أن)، وغيرها من الوسائل التي "قد تكون بمثابة جهاز ينتج عنه دور، أو كإشارة لغوية، أو نداء للمستمع لخلق التغذية الراجعة مع المتكلم[٣٤]. ويرتبط ذلك بوجه خاص مع عبارات التأدب السلبي، من خلال العبارات التي تمنح المتلقي حريته في التصرف، وانتباهه دون عائق. وقد عَوَّلَ زكي نجيب محمود كثيرا على الأدوات التي تخلق خلفية إيجابية مع قارئه من قبيل:(أعتذر للقارئ)، و(لعل القارئ)، و(نستسمح القارئ)، وغيرها من أدوات التأدب السلبي وفقا لقاعدة الاتفاق.

وقد انتشرت التحوطات الموجهة نحو المخاطب في مادة الدراسة، وتنوعت بشكل لافت، وهذا خلافا لما ذهبت إليه التشيكية كودرناتشوفا N. Kudrnáčová التي ترى أن "تلك المؤشرات، أو التحوطات الموجهة نحو المستمع ليست متنوعة كالفئات الأخرى من التحوطات الموجهة نحو المتكلم، أو نحو المحتوى، وأنها أقل شيوعا من أجهزة التعزيز عموما[٣٥]. وربما كان ذلك لاختلاف اللغة العربية عن التشيكية، حيث تتمتع العربية بمرونة في التعبير تفوق غيرها من اللغات.

ومن الأمثلة على ذلك قوله: "لك أن تقرب فكرة الحدس إلى تصورك... وإن شئت أيضا، فاجعل من الحدث والغريزة مرادفين في المعنى–فيما يمس سياق حديثنا هذا– لـ "الوجدان" فكلها أدوات في الفطرة البشرية، لا تحتاج إلى تعلم واكتساب ومع ذلك فهي –كما يزعمون لها– أدوات إدراكية تبلغ اليقين بلمحة واحدة"(٣٦). استعمل زكي نجيب محمود هنا مضعفات موجهة نحو المخاطب تدل على تنصله منه، بأن ترك له مطلق الحرية في فهم المعنى من خلال: (لك أن تقرب)، و(إن شئت)، (وأترك لك)، وهي أدوات تترك للقارئ الاختيار، اعتمادا على قدراته الفكرية في التصور والحكم على الأمور، فهي كما يشير هايلاند Hyland "تترك للقارئ مساحة صغيرة لتفسيراته الخاصة، وتستخدم لخلق تضامن شخصي مع القارئ"(٣٧). بل على العكس من ذلك فهو بهذا التحوط يكون قد نسب فهمه للمتلقي، أو على الأقل دفعه نحو فهم معين أراده له، من خلال إظهار اللباقة، والظهور بشكل متواضع، وهو جزء لا يتجزأ من الكفاءة اللغوية. وهذا يؤكد أن التحوط ظاهرة تداولية وخطابية في المقام الأول وليس ظاهرة دلالية بحتة.

ج– التحوط الموجه نحو المحتوى Content–oriented Hedge:

كما يشير العنوان، فإن هذه الفئة من التحوط تتعلق بمحتوى الرسالة. فمن خلال بعض الأدوات نستطيع الحكم بأن المحتوى غامض، أو مشكوك فيه، أو غير مؤكد. ففي بعض الأحيان يضعف المتكلم من قوة الفعل الكلامي للرسالة؛ رغبة منه في التهرب وعدم الالتزام، ويكون ذلك بالاتكاء على ما اطلق عليه براون آليات طرح المسؤولية deresponsibilizing mechanisms التي مثل

لها بالأفعال المعرفية المساعدة الإنجليزية (could, may and might)، وبعض الظروف مثل: (ربما possibly)، و(على الأرجح probably) و(من المحتمل likely)[٣٨]، وذلك في السياقات الجدلية التي لا يريد المتكلم فيها أن يكون حاسما، إما لأن الموقف يحتم عليه تلك الاستراتيجية، وإما لأن معلوماته تكون غير كافية لإصدار حكم معين تجاه ما يخبر عنه، فيلجأ إلى تلك الاستراتيجية المرنة التي لا تقيم عليه دليلا ولا تورطه بنسبة القول الحاسم إليه فتبقى الاحتمالية قائمة.

وتتعدد الوسائل اللغوية التي تستعمل في التحوط الموجه نحو المحتوي وتتنوع حسب وظيفتها في الخطابات، وأول هذه الوسائل- الأدوات والوسائل الدالة على عدم التيقن من محتوى الإبلاغ، أو عدم التأكد من مدى صحته، وهي: (فقط، وإلى حد ما، ونوعا ما، وأحيانا، وفيما يبدو، ووفقا لـ، وكما يقول فلان...)، ثانيها- الوسائل والأدوات الدالة على التهرب من تحمل المسؤولية، والتنصل من عواقب الكلام عند الضرورة، ومنها: (يزعم، ويدعي، ويقال، وزعما، وادعاء، وافتراضا، ويفترض، والألفاظ الدالة على عدم الشمول: بعض، وغالب، وأكثر، وألفاظ الجمع العام المُنَكَّر، وغيرها من ظروف الجملة غير الشخصية، أو فواعل الضمير الثالث مع الأفعال الدالة على عدم اليقين، والأفعال المبنية للمجهول التي تخفي الفاعل الحقيقي تماما فيعد من المسكوت عنه الذي لم يوجه إليه الاتهام الصريح...)، وثالثها- الأدوات والوسائل التي تُظْهِرُ البون بين الحقيقة وما يظهر منها، ومنها: (شكليا، وظاهريا، ونظريا، وعمليا، ومن الناحية النظرية، ومن زاوية فلسفية، ويكاد، وكأنّ...)، ورابعها- الأدوات الدالة على

ظَنٍّ، أو توقع، أو احتمال، ومنها: (يمكن، ومن الممكن، وربما، وقد، ولعل، وأظن، ويحتمل، ومحتمل، ويجوز، ومن الجائز، ومن المتوقع، ونسبيا...)، وخامسها– الوسائل والأدوات التي تستعمل عندما يريد أن يبين وجهة نظره وحكمه على المضمون، أو عندما يريد أن يقدم المعلومة في صورة غير جازمة، أو أنها تمثل اعتقادا شخصيا ووجهة نظر خاصة به، فلا يريد أن يجبر المتلقي على تقبل المعلومة، ومنها: (في رأيي، والرأي، ومن وجهة نظري، وعندي، والراجح، وعلى الأرجح، في الغالب، وعلى الأغلب، وأغلب الظن...).

إذن وسائل التحوط الموجهة نحو المحتوى هي وسائل تضعف قوة المحتوى، باعتبار أنها تنم عن عدم اليقين، أو على المراوغة من المتكلم، أو التعبير عن التنبؤ الضعيف، أو تهرب المتكلم من صحة المحتوى، أو أنه يُلْقِي بشكل ضمني، أو صريح بمسؤولية صدق المحتوى على طرف ثالث، أو أن المحتوى والمضمون لم يُنْسب إلى مراجع تلك الأدوات، مما استدعى إلى التحوط بعدم نسبتها إلى أشخاص معينين، أو إلى حفظ المسافة.

ومن الأمثلة قول زكي نجيب محمود: "ثم حاولت أن أقدم لهذا السؤال جوابا إلَّا يكن هو الجواب القاطع، فلا أقل من أن يكون جوابا محتمل الصواب؛ لَعَلَّه يثير الفكر عند آخرين فيصححونه ويكملونه"(٣٩). فزكي نجيب محمود هنا تحوط من خلال أداتين هما أداة الشرط (إنْ) الداخلة على كون منفي، والأداة (فلا أقلّ) التي تحد من التأويلات بإقصائها التأويلات البعيدة المحتملة، وتضعف قوة المنطوق. فهو يطرح سؤالا: "كيف السبيل إلى ثقافة نعيشها اليوم، بحيث تجتمع فيها ثقافتنا الموروثة مع ثقافة هذا العصر الذي نحياه؛ شريطة ألَّا يأتي

هذا الاجتماع بين الثقافتين تجاورًا بين متنافرين، بل يأتي تضافرًا تنسج فيه خيوط الموروث مع خيوط العصر نسج اللُّحْمَةِ والسُّدَى؟"، ويقدم جوابًا عنه، وهو: "أن يأخذ عن الأقدمين وجهات نظرهم بعد تجريدها من مشكلاتهم الخاصة التي جعلوها موضع البحث –لأنه يبعد أن تكون مشكلاتنا هي نفسها مشكلاتهم لتباعد الزمنين– ولهذا ليس من المُجْدِي حصر بحثه في مشكلاتهم، بل الذي ربما قد يعود بالنفع العظيم هو النظر إلى الأمور بمثل ما نظروا، والاحتكام في حلولنا لمشكلاتنا إلى المعايير نفسها التي كانوا قد احتكموا هم إليها".

وهذا الجواب ربما يأتي من يعترض عليه معترض فيرفضه، أو يقلل من قيمته ووزنه، ويبين أوجه التهافت فيه، ويقدم حججا على فساده من منظور صلاحية معايير القدماء ومناسبتها لعصرنا. ولهذا تحوط زكي نجيب محمود، وتَحَوَّلَ عن التأكيد الجازم الاحتمال غير الملزم، وأظهر نفسه في مظهر المتردد الشاك، وأن ما قدمه من جواب ما هو إلا وجهة نظر شخصية قابلة للنقاش، والأخذ، فيفتح بذلك بابا للحوارمع القارئ.

وقد استدعى المقام أداة التحوط الموجهة نحو المحتوى (لَعَلَّ) التي هي أداة تحوط يكثر استعمالها في التعبير عن معاني الشَّك، والتوقع، والاحتمال، وعدم اليقين. فهي كما يشير الهروي "تكون للتَّوَقُّعِ لأمر ترجوه أو تخافه، كقولك: "لَعَلَّ زيدًا يأتينا"، ولَعَلَّ العَدُوَّ يُدْرِكُنَا"، ولا تدل على قَطْعٍ أنه يَكُوْنُ أو لا يَكُوْنُ... وتكون شَكًّا بمنزلة عسى"(٤٠)، وقد عقد ابن يعيش مقارنة بين خبر (لَعَلَّ)، وخبر (إنَّ)، بقوله: " لعل خبرها مشكوك فيه، وخبر إنَّ يقين" ومن ناحية أخرى إشارته لأوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين التمني والترجي بقوله في شرح كلام ابن

الحاجب " كأنه شبه الترجي بالتمني إذ كان كل واحد منهما مطلوب الحصول مع الشك فيه، والفرق بينهما أنّ الترجي توقع أمر مشكوك فيه، أو مظنون، والتمني طلب أمر موهوم الحصول، وربما كان مستحيل الحصول"(٤١). واضح أن أكثر استعمالات (لَعَلَّ) استعمالات تحوطية: (الشك)، و(التوقع) و(الاحتمال) و(عدم اليقين) وهذا يتفق مع توظيف زكي نجيب محمود لها في مادة الدراسة، إذ إن استعمالها في الدلالة على الترجي كان قليلا جدا، لم يكد يذكر.

٥- وسائل التحوط:

تجدر الإشارة هنا إلى بيدرو مارتن P. Martin الذي يقول إنه "ليس هناك اتفاق كبير بين اللغويين حول الأدوات التي يمكن اعتبارها أدوات تحوط، والتي لا يمكن اعتبارها كذلك"(٤٢)، وذلك لأن هناك أدوات معينة تشكل تحوطات في سياقات معينة بينما تكون ليس كذلك في سياقات أخرى.

ولعل الاختلاف راجع إلى السياق من ناحية ومن ناحية أخرى اختلاف نظرة الباحثين إلى التحوط فبعضهم كأصحاب المناهج القائمة على الوظائف – ومنهم كرمتون Crompton– يرون أن التحوط مفهوم مخصص للتعبير عن الجهة المعرفية من زاوية واحدة فقط، هي زاوية تجنب الالتزام بالمحتوى المقترح، وكذلك عدم اليقين والإشارة إلى استنتاج من دليل يمكن ملاحظته، في حين أن معظم الباحثين المعنيين بالتحوط يعولون على السياق في فهم التحوط ولا يرغبون في الفصل بين الشكل والوظيفة؛ لأنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا ومن هؤلاء سلاجر ماير Salager Meyer الذي عني بدور السياق الثقافي، ولم يتجاهل أهمية الطبيعة العقلية والنفسية لظاهرة التحوط.

ونحن في هذا البحث لا نهدف إلى حصر كل وسائل التحوط وإنما نشير إلى بعضها، وما نركز عليه في البحث هو تصنيف هذه الوسائل التي وردت في مادة الدراسة وفق شرائح، كانت في مادة الدراسة على النحو الآتي:

أولا- التحوط بالوسائل الخارجة عن اللغة:

يقصد بها تلك الوسائل التي تصاحب اللغة المنطوقة؛ فتزيد أو تنقص قوة البيان، وتنقل المعاني المعرفية والانفعالية، وتعمل كتحوطات موجهة نحو الدقة. وتتمثل في حركات العين، والحاجب، واليدين، والأكتاف، وتعبيرات الوجه، وكذلك في وسائل التشكيل الصوتي من مطل الصوت، أو ارتفاعه، أو انخفاضه، وتنغيمه، أو الوقوف على جزء معين من أجزاء الكلام. فهذه الوسائل المصاحبة التي يطلق عليها التحوطات العرضية والحركية prosodic and kinesic hedges قد توظف في إخفاء الموقف المعرفي فيما يتعلق بقيمة الحقيقة في كثير من الأحيان، وكذلك تعين المتحدثين أو الكتاب في نقل شكوكهم، ويقينهم، وتخميناتهم، واستنتاجاتهم، وافتراضاتهم، وحفظ ماء وجههم. ولا نتطرق هنا لتلك الوسائل؛ لأنها ترتبط بالنص المنطوق، وبالحال المشاهدة في المقام الأول، بينما مادة الدراسة على نص مكتوب، وهو استبعاد تفرضه طبيعة النص المدروس هنا.

ثانيا- التحوط بالوسائل المعجمية:

عادة ما يستعمل الكتاب كلمات معينة، أو عبارات معينة في عرض الوقائع والأحداث اللغوية، يرون أن تلك الألفاظ والعبارات أقدر في خدمة رؤيتهم ورسالتهم، وفق الصورة التي يريدون أن يظهروا بها للمتلقي، ووفق ما يريدونه

لرسالتهم أن تصل من حيث درجة المصداقية، والوضوح ،ومطابقة الحقيقة، أو على العكس من ذلك من تضليل القارئ، وغموض الرسالة، أو مواربتها، أو أنهم يريدون تفادي الاصطدام به، مما يعني أن الأمر لا يتعلق بالتعبير بقدر ما يتعلق بالتفكير في المقام الأول، لهذا يعمدون إلى عمليات انتقائية مدروسة تناسب استراتيجياتهم التواصلية ومن بينها استراتيجية التحوط التي لها وسائلها الخاصة.

ويقصد بوسائل التحوط المعجمية تلك الوسائل التي يوظفها المتكلم بهدف التحوط، وإضعاف قوة المنطوقات، وتقديمها على صورة عدم اليقين من صحة المعلومة، أو عندما يريد التهرب من تبعاتها، أو إلصاقها بالطرف الآخر، أو عندما يريد التعبير عن الشك والاحتمال، أو تقديم المعلومة على أنها مجرد افتراض، أو عند إرادة التعمية، وعدم التصريح. ومن أبرز هذه الوسائل: أولا- الأسماء، مثل: (بعض، وتقريبا، وتماما، وغالبا، وقليلا، ونسبيا، ونوعا ما، والمفترض، وأغلب الظن، والراجح، ومحتمل، وظاهريا، وشكليا، وافتراضا، وقليلا، وكثيرا...). ثانيا- الأدوات، مثل: (ربما، وفقط، ولعل، وقد). ثالثا- المركبات الحرفية، مثل: (إلى حد ما، وعلى الأقل، وعلى كل حال، وبصورة ما، وفي ظني، وعندي).

ومن أكثر الأدوات المعجمية المستعملة في التحوط الأداة (رُبَّمَا) التي وردت في (٧٢ موضعا) خالفت فيها الدلالات الأساسية التي وضعها لها قدامى نحاة العربية وهي الدلالة على التقليل، أو للكثرة عند بعضهم، وللمعنيين بالتساوي عند بعضهم، وللكثرة أكثر منها للقلة عند بعضهم، والعكس عند

بعضهم وأنها تأتي لما مضى وللحال دون الاستقبال، ويرى صاحب الأزهية أنها للاستقبال[٤٣]، ولم يشر أحد منهم إلى دلالة (ربما) على التوقع والاحتمال، وذلك ربما لأنهم نظروا إلى دلالات الأداة الرئيسة (رُبَّ) قبل دخول (ما) عليها، وربما لأنه قد حدث تطور في استعمال (ربما) مع مرور الزمن. ومهما يكن من أمر، وعلى أية حال، فإن الأداة (ربما) هي أداة تحوطية بامتياز، وظفها زكي نجيب محمود في التعبير عن معنى الاحتمال، وفي التعبير عن معنى الرجحان، كما استعملها في التهرب من إصدار حكم في كثير من القضايا التي كانت موضوع حديثه.

ومن الأمثلة التحوطية التي وظفها فيها للدلالة على الترجيح قوله: "ربما كان الغزالي من أقوى العوامل التي جمدت مجرى تاريخنا الفكري"[٤٤]. وظف زكي نجيب محمود الأداة المعجمية (ربما) كأداة تعبير عن تحوطه، وتحفظه تجاه الحكم على الإمام الغزالي (بأنه من أقوى العوامل التي جَمَّدَت مجرى الفكر، وأنه أغلق باب الفلسفة أمام العقل العربي، لأنه رسم للمسلم طريق حياته بالمسطرة والفرجار؛ فَقَيَّدَ بذلك سلوكه وأوصد أمامه التلقائية الحرة)، وإنما ساق الكلام على أنه رأي مُرَجَّحٌ، لا على أنه حكم جازم. فهو هنا قلق، متردد في إصدار الحكم؛ ولهذا تجده قدم للمحتوى الإخباري بما يفصح عن هذا القلق، بقوله: "صاحب هذا الكتاب يشعر بالقلق إذا ما اعتزم توجيه النقد إلى الغزالي؛ لشعوره بعظمته، وعمق نظرته، وعلمية منهجه، لكنه في الوقت نفسه يراه في عصره قوة رجعية أثرت على العصور فيما بعده". وهذا يؤكد أن التحوط كثيرا ما

يرتبط بالتعبير عن المواقف السلبية، مثل: النقد، أو الرفض، أو عدم الانتماء، ونحو ذلك.

ومن الأمثلة التي استند على الأداة (ربما) في التحوط لرغبته في ألَّا يكون جازما قوله: "ولم يشعر كاتب هذه الصفحات بالقلق لشيء ينوي أن يقوله، بمثل ما يشعر به الآن وهو بصدد الحديث عن الإمام الغزالي؛ وذلك لأنه بعد أن صاحبه صحبة طويلة، فربما كانت الفترة التي صحبه فيها أطول فترة قضاها مع سواه طوال رحلته الثقافية هذه"(٤٥). فزكي نجيب محمود يعلم المدة بالضبط، ويعلم أن أطول فترة في رحلته الثقافية عايش فيها مفكرا، كانت هي فترة معايشته للغزالي، ورغم ذلك امتنع عن التصريح بذلك، ففي أحايين كثيرة يكون لدى المتكلم قدرا كافيا من المعلومات حول موضوع ما، أو قضية ما، أو شخص ما، ورغم ذلك يشعر بالحاجة إلى الإشارة إلى نقص المعلومات لأسباب ذاتية ونفسية، لهذا كثيرا ما يتجنب الإدلاء بتأكيدات صريحة نحو صدق القضايا المتناولة.

ومن الأمثلة التحوطية التي وظف فيها (ربما) للتهرب من إصدار حكم قوله: "وربما أخطأ "أورويل" فيما ذهب إليه وربما أصاب"(٤٦). لم يصدر زكي نجيب محمود حكما معيناٍ؛ فهو قد تهرب من إصدار حكم حول فكر أورويل في "مزرعة الحيوان"؛ ليتيح مجالا لمزيد من التفكير، وفتح باب المناقشة والتعديل من وجهات النظر المختلفة، أي أن زكي نجيب محمود فعل عكس عادة المؤلفين –وخصوصا الفلاسفة– الذين عادة ما يدلون بتعليقات وآراء حول ما يقولونه أو يكتبونه. ربما كان تحفظه من إصدار الحكم على رواية أورويل؛ لأنها

تتعلق بأمور سياسية؛ إذ تشير إلى بعض الأنظمة الشيوعية، والاشتراكية، والديكتاتورية، وهي من المحظور السياسي في ذلك الوقت. وهناك أمثلة أخرى عديدة لا يسع المجال لذكرها قد وظف فيها زكي نجيب محمود الأداة (ربما) في التعبير عن الشك وعدم اليقين.

ثالثا– التحوط بالوسائل التركيبية:

يشير عبد الهادي الشهري إلى أن المستوى التركيبي "من أنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه؛ لإبراز استراتيجية الخطاب تداوليًّا، ويعد عبد القاهر الجرجاني من أبرز من بلور ذلك من خلال توظيفه للتعبير عن القصد الذي يتوخاه المرسل"(٤٧). فالدرس التداولي، وتحليل الخطاب يأخذان بعين الاعتبار معطيات التركيب ومرونته في تلبية المرامي الدلالية والتداولية، المتحكمة بدورها في عملية الإنتاج. فالمتكلم عندما يكتب، أو يتحدث يصوغ جملة من القضايا، يصبغها بموقفه من تلك القضايا ويبدي منها مواقف من حيث صحتها، أو حكمه القيمي حولها، فإما أن يحاول التوضيح، وإما أن يعلن عن الاعتقاد وإما أن يتحوط، وإما غير ذلك من المرامي المقصودة. وما يهمنا هنا هو موضوع التحوط.

ومن الوسائل التركيبية للتحوط أفعال الاعتقاد، مثل: (أظن، وأُخَمِّنُ، وأحسب، وأفترض، ويبدو لي، وأشك، وأفترض). ومنها: التحوط بأفعال الاستنتاج، مثل: (أستنتج، وأستنبط، وأخلص، ...)، وببعض الأفعال الأخرى، مثل: (ويخيل إلي، ويمكن، ويحتمل، ويبدو، ويُتَوَقَّعُ)، ومنها أيضا الأساليب، مثل: أسلوب الاستفهام، وأسلوب الشرط المصدر بـ (إنْ وإذا)، نحو: (إن لم أكن

مخطئا، إن لم أكن أسأت فهمك، إن جاز التعبير)، وأسلوب النفي، مثل: (لست متأكدا،...)، وأسلوب الاعتراض، وأسلوب التعجب. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١- التحوط بأفعال القلوب (أفعال الاعتقاد):

الاعتقاد في اللغة يعني التصور والرأي، قال ابن منظور: "واعْتَقَدَ كذا بقلبه وليس له مَعْقُودٌ، أي عَقْدُ رأيٍ. وفي الحديث: أنَّ رجلًا كان يبايع وفي عُقْدَتِهِ ضَعْفٌ، أي في رأيه ونظره في مصالح نفسه"(٤٨)، أي أن الاعتقاد هو الرأي، والنظرة الشخصية في الأمور، وهو غير المعرفة، فالفرق بين الاعتقاد والمعرفة، أن الاعتقاد يُمْكِنُ بَيَانُ كذبه، وعدم صحته، في حين أن المعرفة ثابتة، لا تقبل النقاش، كما أن الاعتقاد لا يمثل معرفة؛ فحينما نعتقد بشيء أنه موجود فمهما كان اقتناعنا به، فإن الأمر لا يتعلق إلا باعتقاد، ولا يمثل معرفة بأية حال من الأحوال. وهذا لا يعني أن الشيء غير موجود، إنما يعني فحسب أن وجوده وعدم وجوده لا يمكن أن يكون إلا موضوع اعتقاد، وهو ما اتفق على تسميته بالإيمان(٤٩).

والخلاصة أن الاعتقاد على خلاف المعرفة، فهو قابل للخطأ والصواب، وأنه يتشكل وفق درجات متفاوتة من الوثوق، كما يتسم بالنسبية بين الأشخاص. ويكون ذلك وفق حيثيات، ومعارف معينة حول موضوع ما، أخذها في الاعتبار المنطق الغائم الذي يقول بالفكر التقريبي، وينظر إلى أن كل الأشياء هي درجية، وأن كل نظام قابل للتغييم Fuzzification. ويتلخص موضوع الاعتقاد-

ببساطة شديدة– بأنه دائما ما يتقاطع الاعتقاد مع تصورنا للواقع الخارجي بشكل يهيمن فيه الاعتقاد على تصورنا للواقع.

و ترد أفعال القلوب في الكلام لبيان اعتقاد المتكلم، قال السيرافي: " هي قول مقرون باعتقاد صح، أم لا"(٥٠)، ويرى الرضي –إذا ما استبعدنا الأفعال الدالة على اليقين وهي خارج نطاق بحثنا– أنها "إما للظن في الظاهر مع احتماله في بعض المواضع لليقين، وهو (ظَنَّ)...وإما للاعتقاد الجازم في شيء أنه على صفة معينة، سواء كان مطابقا أو لا، وهو (رَأَى)...وإما لاعتقاد كون الشيء على صفة اعتقادا غير مطابق ، نحو (عَدَّ، وجَعَلَ) ... وإما للقول بأن الشيء على صفة قولا يستند إلى غير وثوق، نحو: زعمتك كريما"(٥١)، ويقول أيضا في شرح قول ابن الحاجب: "قوله: (تدخل على الجملة الاسمية لبيان ما هي عنه)، أي: لتعيين الاعتقاد الذي هي عنه، أي: تلك الجملة صادرة عن ذلك الاعتقاد. وقوله: (هي عنه) على حذف المضاف، أي: حكمها عنه، أي: حكم المتكلم على المبتدأ بمضمون الخبر، صادر عنه، ففي قولك: (علمت زيدا قائما)، حكمك بالقيام الذي هو مضمون الخبر على المبتدأ الذي هو (زيد) صادر عن علم، وفي: (ظننت زيدا قائما): عن ظن"(٥٢). فالشك، أو اليقين في هذه الأفعال يكون واقعا على الخبر. وهذا ما يؤكده السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه بقوله: "اعلم أن هذه الأفعال تدخل على جمل، هي أسماء وأخبار قد كانت قائمة بنفسها، فيحدث الشك أو اليقين في أخبارها"(٥٣). ولهذا لم يجز مع هذه الأفعال الاقتصار على المفعول الأول دون المفعول الثاني إذ لا فائدة في الاسم من دون الخبر، أو تقتصر على المفعول الثاني دون المفعول الأول إذ لا

فائدة في الخبر من دون اسم تسنده إليه. وتسمى هذه الأفعال بأفعال الهواجس؛ لأنها تخبر عما يهجس في النفس من اليقين أو الشك وهذا هو الغالب في تسميتها.

وأفعال الاعتقاد: (أظن، وأحسب، وإخال، وأعتقد،...) تحوطات موجهة نحو المتكلم في المقام الأول، ونحو المحتوى في المقام الثاني، حيث تؤكد على موقفه الذاتي من محتوى الرسالة، ويطلق عليها براون "آليات طرح المسئولية"(٥٤). يلجأ إليها الكتاب في تقديم المعلومات على أنها أحكام ذهنية (صدق ظني) غلب فيها الظن. فالاعتقاد موقف شخصي يحتمل النقيض؛ ولهذا يقبل التشكيك ويقبل النقاش؛ ومن ثم كان دورها في إضعاف قوة المنطوق.

ومن الأمثلة قوله: "وليس يمكن فيما أعتقد أن يكون الأمر على غير هذا الذي ذهب إليه ابن جني، لا من حيث اللغة العربية وحدها، بل من حيث اللغة على إطلاقها"(٥٥)، وقوله: "وأحسب أن ابن جني حين أراد التعليل العقلي لقواعد اللغة فإنما أراد طرائق التركيب. وإذا كان ذلك كذلك فهو بهذا التعليل يقدم نافذة نطل منها على عقيدة العربي في تركيب العالم الخارجي"(٥٦). يمثل فعلا الاعتقاد (أعتقد)، و(أحسب) في المثالين السابقين تحوطًا سلوكيًّا موجهًا نحو المتكلم، يؤكد موقف زكي نجيب محمود الذاتي تجاه مضمون الكلام، حيث يعلي من درجة ذاتية الكلام، ويبرز موقفه الشخصي، وإعجابه برأي ابن جني في مسألتين: أولاهما- إعجابه بتفسير ابن جني لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾، وتبريره لماذا خص الله الأسماء بالذكر دون غيرها (أي: الفعل والحرف)، حيث يرى ابن جني أن الأسماء القُبُل، وأقوى الأقسام الثلاثة، إذ لابد

لكل كلام مفيد من الاسم، وأن الجملة قد تستغني عن الفعل والحرف. ولما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة جاز أن يكتفى بها مما هو تالٍ لها، ومحمول في الحاجة إليه عليها.

والثانية- إعجابه بجرأة ابن جني في قوله باصطلاحية اللغة على خلاف الذين قالوا بأنها وحي وإلهام من الله؛ حيطة منهم أن يؤدي القول باصطلاحية اللغة إلى شكوك تحيط بلغة القرآن وصدورها عن الله. مما يشير إلى نقص اليقين وارتفاع درجة عدم التحديد من جانب زكي نجيب محمود. وهذا نوع من التحوط يطلق عليه دروع التخطيط Plansibility Shields "الذي يستخدمه المتحدثون لإظهار موقفهم الشخصي الخاص تجاه اقتراح ما، في الغالب يعبرون عن عدم اليقين من قيمة حقيقة المقترح، أو أن العبارة ليست صحيحة تماما"(٥٧)؛ ومن ثَمَّ يعني ضمناً ضرورة التأكيد من جانب المستمع، ومن ثَمَّ فإن التحوطات تعني للمستمع أن كلام المتحدث لا يجب أن يؤخذ على أنه شيء صحيح أو محدد، وإن كان الظن هو الحكم بالطرف الراجح مما يوحي بمصداقية الرسالة ومصداقية الكاتب.

٢- التحوط بأفعال الاستنتاج:

الاستنتاج عملية عقلية ذات طبيعة منطقية، تنتج من خلال الملاحظة واستقراء القضايا ومقدماتها، والربط بين العلاقات الداخلية للخطاب؛ لاستنتاج القضايا من بعضها، والكشف عن الحقيقة العلمية، والوصول إلى المعاني الضمنية وتحصيل القصد. وعادة ما يكون الاستنتاج في الخطاب في نهاية عرض الفكرة سواء جزئية كانت أو كلية. وقد يضعف المتكلم من قوة الملفوظ

بأن يقدم المعلومة على أنها استنتاج، لا حقيقة. وبما أنها استنتاج، فهي قابلة للنقاش والتعديل. ويستعمل لذلك الروابط مثل: (إذن)، والحروف مثل: (بالتالي، ومن هنا) والأفعال الصريحة كالفعل (أستنتج)، والأسماء مثل: (والنتيجة). وقد اعتمد زكي نجيب محمود على الاستنتاج كثيرا بحكم تخصصه الفلسفي، وبحكم أن موضوع كتابه يتعلق بالمعقول واللا معقول؛ لذا تراه يخاطب المتلقي بالبرهان والعقل. وأفعال الاستنتاج تحوطات موجهة إلى المحتوى، ومن خلالها يضعف المتكلم من قوة المنطوق، حيث يقدم المعلومة على أنها استنتاج، فلا يلزم القارئ بها، ولا يقفل أمامه باب الاجتهاد وحرية الرأي، ومن ناحية أخرى يحتاط لنفسه ضد أي تهديد قد يطرأ مستقبلا؛ لأنه لم يقدم المعلومة على أنها حقيقة ثابتة لا تقبل الرأي.

ومن الأمثلة قوله: "إني أستنتج منها أن يكون العالم الطبيعي مكونا من أجزاء كثيرة ويسير نحو غاية مرسومة مدبرة"(٥٨). يقدم الكاتب هنا المعلومة على أنها استنتاج، رغم أنها من الأمور البدهية. فالعالم فعلا يتكون من أجزاء كثيرة تسير نحو غاية مرسومة ومدبرة، ولكنه قدم المعلومة على أنها تنبؤ واستنتاج شخصي غير مفروض على القارئ، رغم كونها حقيقة مستقرة وثابتة، ليمهد للقضية التالية ويهيّئ القارئ لها.

٣- التحوط بأسلوب الاستفهام:

يوظف الاستفهام في التحوط لأسباب عديدة، أهمها للتهرب من المسؤولية، وذلك مع الاستفهام التقريري المنفي المبدوء بهمزة الاستفهام الداخلة على جملة منفية تبدأ بفعل إلزامي في بداية الجملة، نحو:(أليس من الواجب فعل كذا؟)،

و(أليس من الضروري فعل كذا). والتقرير إما أن يكون للإخبار، وإما أن يكون للطلب، قال السيوطي: "فإن قلنا المراد به الحكم بثبوته، فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع، أو طلب إقرار المخاطب به [أي بوقوعه] من كون السائل يعلم، فهو استفهام يقرر المخاطب، أي يطلب منه أن يكون مقرا به"(٥٩). ويكون الاستفهام تقريريا في الجمل الاستفهامية التي يفهم منها الدعوة إلى فعل الأمور المستحسنة والإيجابية، أو اقتراح فعلها أو التماسه، وغير ذلك من الأغراض التي لا يفهم منها الإجبار على الفعل. ويتوسل المتكلم بالاستفهام التقريري؛ لاستدراج المتلقي لأهداف قد تجتمع جميعا، أو ينفرد أحدها. الأول- استنطاق الجواب منه، والثاني- جره نحو الاعتراف بحقيقة ما، والثالث- استدراجه نحو المشاركة في الخطاب والتفاعل.

وقد يستعمل الاستفهام في التوجيه كما في استفهام التوبيخ والتحضيض، نحو: (هل من...؟)، و(لمَ لا...؟). وفي السياقات التواصلية الحقيقية قد يشير إلى نقص المعلومات لدى المتكلم، أو عدم تيقنه من المعلومة؛ مما يجعله يطلب التأكيد، أو الإلغاء من قبل المتلقي. فكل هذه الأدوات هدفها توجيه المخاطب، ولفت انتباهه. والإضعاف يكمن في تخفيف حدة الاستفهام، وتقديمه في صورة ملطفة، يفهم منها التودد إلى المخاطب، وكسبه حسب نظرية التأدب. في حين أن الاستعمال الغالب للاستفهام التذييلي في الخطاب الأنثوي يكون لإظهار عدم اليقين وفقا لطبيعتهن المترددة؛ ولهذا يكثرن من استخدامه في حواراتهن الفعلية، كما تشير جانيت هولمز.

ومن الأمثلة قوله: "ومثل هذه العلاقات النابعة من حقائق الأشياء أو الأفكار يعممه الفلاسفة المثاليون ليشمل كل كائن في الدنيا وكل فكرة عقلية كائنة ما كانت، ولم لا؟ أليس عندهم أن لكل شيء "جوهرا" ثابتا هو حقيقة؟"(٦٠). إن زكي نجيب محمود –وهو فيلسوف تجريبي– وظف الاستفهام هنا للتحوط والتلطيف عند تناوله قضية ضمن الفلسفة المثالية، حتى لا يثور عليه القارئ المنتمي لتيار في الفلسفة المثالية؛ ليوهمه أنه يقبل ببعض أفكارهم الفلسفية، ثم يعقب بالاستفهام التقريري: (أليس عندهم)؛ ليؤكد بشكل موارب أنه ليس من أصحاب الفلسفة المثالية، الذين يقولون بالجوهر ولا يعولون على العرض، ولا على العلاقات الداخلية (التي تنبثق من طبيعة الشيء ولا تفرض من الخارج بالحوادث العابرة)؛ ليستدرج القارئ للحكم بتناقض مذهب النَّظَّام، وتصنيفه ضمن اللا معقول في تراثنا الفكري؛ لأن النَّظَّام ذهب في إحدى مسائله إلى أن حقائق الأشياء هي "أعراض اجتمعت" وليس للجوهر معنى إلا هذه الأعراض المجتمعة وهو بذلك يصنف من طراز هيوم في الفلسفة التجريبية، وفي المسألة التالية التي قال فيها بأن "الكائنات كامن بعضها في بعض وأن تأخر كائن عن كائن هو تأخر في تاريخ الظهور فقط" ومثل بتحليل آدم من حيث هو أصل يتضمن فيه أفراد الإنسانية جميعا على مدى الدهر وهو بذلك من طراز ليبنتز صاحب الاتجاه العقلاني في الفلسفة. ثم يحكم في النهاية بتناقض النَّظَّام؛ لأنه جمع بين رأيين مختلفين منطقيا، لا يجتمعان في عقل منطقي واحد ويمتنعان على المنطق العقلي السليم.

٤- التحوط بأسلوب التعجب:

التعجب في اللغة: شدة الاستحسان، وورد في تهذيب اللغة: "قال الليث عَجِبَ يَعْجِبُ عَجَبًا، وأَمْرٌ عجيب وعُجاب، قال: والاستعجاب شدة التعجب، ويقال أعجبني هذا الشيء، وأُعجِبتُ به، وهو شيء مُعْجِبٌ، إذا كان حسنًا جدًا". وقال الهرمي: "التعجب هو استحسان الشيء واستعظامه، أو استقباحه واستحقاره"(٦١). ونقول إن التعجب ما هو إلا شعور، وانفعال يقع في النفس تجاه شيء ما، يخالف المعهود والمعروف لدينا. وقد اختلف العلماء في تصنيف التعجب، فبعضم صنفه تحت قسم الخبر، ومنهم ابن جني فهو يصرح بأن "التعجب ضرب من الخبر"(٦٢)، وكذلك قال ابن فارس: "والمعاني التي يحتملها لفظ الخبرة كثيرة، فمنها التعجب"(٦٣) وبعضهم (وعلى رأسهم ابن الحاجب والرضي) يصرح بأنه "ما وضع لإنشاء التعجب"(٦٤). وبغض النظر عن كون التعجب فعلا خبريا أو إنشائيا، فإنه يقع فيه الصدق والكذب، وهذا يؤكد ما ذهب إليه أوستن من أن معيار الصدق والكذب لا يختص بنوع معين من الأفعال الوصفية أو الإنشائية. ولعل وقوع الصدق والكذب في التعجب هو الذي دفع بعضهم إلى القول بخبريته.

ومن الأمثلة التي وظف فيها زكي نجيب محمود أسلوب التعجب في إضعاف القوة الإنجازية قوله: "ما أسهل الهروب إلى الأمام، ولكن هل يمكن ذلك في الميدان الذي نتحدث عنه؟ ألم تسفر هذه الدعوات عن نتائج عكسية تماما؟ ألم يتعاظم مفعول السلطات المذكورة، سلطات مرجعيتنا التراثية حتى أصبحت تكتسح الساحة اكتساحا؟"(٦٥). حيث وظف في إضعاف قوة المنطوق أكثر من

وسيلة، وهي: أسلوب التعجب: (ما أسهل الهروب!)، وأسلوب الاستفهام الدال على النفي: (هل يمكن؟)، والاستفهام التقريري: (ألم تسفر؟)، و(ألم تتعاظم؟)، والفعل: (تكتسح) المؤكد بالمفعول المطلق(اكتساحا). فنجيب محمود هنا يعرض لموقفين من الممكن أن يقفهما القارئ والمفكر المعاصر في موقفهما من حضور سلطة الماضي المعرفية وهما: إما قَطْعَ الصلة بالماضي والتحرر من سلطته الإبستيمولوجية، والانكباب على فكر العصر وفلسفته وعلومه، وإما البقاء في سجن هذه السلطات، وكلا الموقفين خطأ، وإن كان أسهلهما الخيار الأول (الهروب إلى الأمام والتحرر من سلطة الماضي)، إذ يفضله بعضهم بدعوى التجديد. ووظف زكي نجيب محمود التعجب بصيغة (ما أفعل) للدلالة خطأ الفريق الذي ينادي بالتجديد من خلال قطع الصلة كلية مع الماضي؛ لصعوبة الانفكاك من السلطة الشرع واللغة في مجتمع مسلم، يمثل فيه الشرع واللغة النسق العقدي الجمعي والآليات الرافدة بمتونها الحاضنة. ولهذا أعقب ذلك بالسؤال الإنكاري (هل يمكن؟) الذي يضعف من القوة، ويتعاظم الإضعاف مع الاستفهام التقريري: (ألم تسفر؟)، و(ألم تتعاظم؟)، التي تحمل المخاطب على الإقرار بالنتيجة التي استقرت عند زكي نجيب وهي أن دعوات التجديد أتت بنتائج عكسية تعاظم معها مفعول السلطات بشكل كاسح؛ لأن أي تجديد لابد أن يقتضي العودة إلى الروافد والجذور وفهمها والانطلاق منها. وما حدث هو أن عاد المجددون إلى تراث الماضي، ولكنهم لم يستطيعوا الفكاك من براثنه؛ لافتقادهم الآليات. ولهذا يرى زكي نجيب محمود أن العرب لن ينهضوا ويلحقوا بركب الأمم المتقدمة إلا من خلال تحديث العقل من داخل التراث نفسه بكافة

وسائله وإمكاناته الذاتية وتنزيله في الزمان والمكان بتوظيف الوسائل والأدوات العصرية المنهجية منها والمعرفية التي تصلح لعصرنا.

٥- التحوط بأسلوب الشرط:

يلعب الشرط دورا مهما في التحوط خصوصا الحالات التي يتقدم فيها الجواب على الشرط والأداة، والحالات التي يحذف فيها الجواب اعتمادا على السياق، وهو ما يطلق عليه الشرط الزائف pseudoconditionals والتي لا تصنفها اللغات الأوربية على أنها ليست جملا شرطية حقيقية بالنظر إلى طبيعتها؛ لافتقارها من الناحية التركيبية إلى الجزء الآخر من البنية الشرطية، ولافتقارها من الناحية الدلالية إلى الشرط الذي يجب الوفاء به. وكما يشير براون وليفنسون Brown, P. and Levinson, S. فإن هذا النوع من الشرط "يعمل كوسيلة لغوية متواترة للتخفيف من القوة الإنجازية للملفوظ من خلال مراعاة مبادئ الحفاظ على الوجه"(٦٦). وأدوات هذا الأسلوب: الشرط المصدر بـ (إنْ، وإذا)، نحو: (إن لم أكن مخطئا، وإن لم أكن أسأت فهمك، وإن جاز التعبير، وإذا جاز لي أن أقول ذلك، وإذا أردت، وإذا أحببت، وإذا كنت تصر، وإذا كان الأمر يتعلق بذلك، وإذا لم يكن هذا سؤالًا وقحًا). فهذا الأسلوب الشرطي يستعمل في التحوط عندما يشير إلى عدم اليقين، أو إلى أن المتكلم يقدم افتراضات، أو إلى مراعاة دوافع تهديد الوجه، أو أنه يريد أن يلقي بتبعية الحكم على المتلقي من خلال منحه الحرية الكاملة في اتخاذ القرار، ومن ثَمَّ تحمل ما يترتب عليه من تبعات.

ومن الأمثلة قوله: "كان المعتزلة –على اختلاف نظراتهم– هم الطاقة المفكرة، إذا جاز لنا هذا التعبير"(٦٧)، وقوله: "فاجعل من "الحدس" و "الغريزة" مرادفين في المعنى– فيما يمس سياقنا هذا– للوجدان، إن شئت"(٦٨). ففي المثال الأول وظف زكي نجيب محمود التركيب الشرطي المذيل (إذا جاز لنا التعبير) مصاحبا للمنطوق الخبري، على تحفظه وتنصله عند تفسير الفعل الكلامي، إذ يعلن الرابط عن الحالة المعرفية التي يبدو فيها ظاهريا أنه يبتعد عن الذاتية ويسلك دروب الحيادية التي يوصلها للقارئ على أنها مجرد استنباط قد يصح، أو لا يصح، فيكون بذلك قد مرر المعلومة إلى المتلقي، وخلق جسرا من التفاعل. وفي المثال الثاني تحوط موجه للمتلقي حيت وظف نجيب محمود (إن شئت) المصاحبة للمنطوق التوجيهي لتلطيف قوة الأمر؛ ليترك للمتلقي حرية التعبير عن رغبة إن أراد، ويتنصل من النتيجة المترتبة.

وقد وظف زكي نجيب محمود أسلوب الشرط للتحوط والتعبير عن التردد، أو الشك، ومن ذلك قوله في حديثه عن النَّظَّام أيضا: "فما ظنك برجل واحد يعرض عليك في آن واحد أفكارا بعضها يحملك على أن تضعه مع هيوم – الفيلسوف الإنجليزي التجريبي المعروف– في زمرة واحدة، وبعضها الآخر يحملك على أن تضعه مع ليبنتز –الفيلسوف الأوربي العقلاني– في زمرة واحدة أيضا؟ اللهم إلا إذا كنت قد أخطأت فهم ما قصد إليه النَّظَّام"(٦٩). فعبارة الشرط المذيل "اللهم إلا إذا كنت قد أخطأت فهم ما قصد إليه النَّظَّام" تحوط وتهرب من تبعات الحكم، في حالة ما إذا وجد في يوم من الأيام من يتصدى لهذا الرأي الذي ذهب إليه زكي نجيب محمود. وقد عمل الشرط التحوطي كدرع واقٍ له، ومبرر

للتهرب؛ لأنه لم يقدم الرأي بشكل قاطع، وإنما لوح إلى احتمالية أن يكون رأيه قد بعد عن الصواب.

٦- التحوط بأسلوب الاعتراض:

الاعتراض ذو وظائف تداولية وتواصلية مهمة، ينبئ عنها موقعه الحيوي في بناء النظام اللغوي عند إنتاج الدلالات وتبليغ القصد. فما وقوعه بين متلازمين يطلب كل منهما الآخر، وكسره طبيعة قواعد التركيب، وحلوله بين عنصرين من خصائصهما التسلسل، والترابط، والتضام النحوي، إلا مؤشر على أهميته "فأهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة"(٧٠). والاعتراض لا يكون في الكلام ترفًا، وإنما لأغراض أفاض القدماء الحديث فيها. فبعضهم ذكر له أغراضًا محددة من أبرزها التأكيد، والتسديد، والتشديد، والتوضيح، والتنبيه على أمر ما، وبعضهم جعل الكلام مطلقًا فلم يحدد وظيفة معينة، كالزركشي مثلا، الذي ذكر أن الاعتراض "وهو أن يؤتي في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى، بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين لنكتة"(٧١). ورغم كل ما ذكره القدامى حول وظائف الاعتراض، فإنه ينم عن قراءة ناقصة لهذا الأسلوب، وعن قصور في التصور؛ إذ إن استعمالات الاعتراض، ووظائفه تفوق ما ذكروه بكثير؛ مما يدعو إلى إعادة قراءته من جديد؛ لبيان وظائفه العديدة. ونذكر منها أنه يوظف مثلا في التعبير عن الجهة بكافة صورها، وفي التعبير عن المظهر، وفي تعديل القوى الإنجازية للأفعال الكلامية، وفي التلطيف، وكذلك في التحوط وهو موضوع البحث هنا.

وقد وظف زكي نجيب محمود أسلوب الاعتراض في التحوط وتخفيف قوة الكلام، ومن الأمثلة على ذلك قوله: "من هنا كان البيان –منظورا إليه من زاوية وظيفته– هو القدرة على إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق حسب تعبير العتابي كما نقله الجاحظ" هنا يحلل مفهوم البيان عند الجاحظ (المعتزلي)، واصفا إياه بالمتكلم، والمتكلم –كما نعرف– لا يهمه الجوانب الجمالية والفنية في الكلام –رغم أهميتها وعدم إنكاره لها– بقدر ما يسند إلى الكلام من وظيفة وتأثير في المتلقي. ولكي يوصل للقارئ أن البيان في مفهوم الجاحظ ما هو إلا سلطة المتكلم على المخاطب التي لا تقل في تأثيرها عن سلطة الحاكم على المحكوم أو ما يسمى فصل الخطاب ولكيلا يظن القارئ أن الحديث عن البيان في عمومه وظف الاعتراض (منظورا إليه من زاوية وظيفته) ليقصره على جانب واحد من جوانب النظر إليه، لا أنه يتحدث في المطلق؛ فهو يتبنى وجهة نظر معينة من خلالها يصف، وبناء عليها كَوَّنَ الحكم، فيكون بذلك قد أضعف من قوة المنطوق من خلال إعلاء النسبية في الحكم لأن الحكم لا ينسحب على كل زوايا النظر المختلفة إلى البيان.

رابعًا– التحوط بالوسائل الخطابية:

كثيرة هي وظائف الوسائل الخطابية واستعمالاتها داخل الخطاب، ومن بينها أنها تستعمل في التحوط، من خلال تعيين الفعل الأدائي، وكذلك من خلال روابط الخطاب، وكانت كالآتي:

أ- التحوط بتعيين الفعل الأدائي:

يكون ذلك باستعمال الأفعال الصريحة الدالة على الالتماس، والتمني، والترجي، والرغبة، وغيرها مما يتحوط به كطريقة بديلة عن الطلب في صورة الإجبار. ومن ذلك قوله: "لأول مرة في التاريخ يجمع الخليل أشتات المفردات اللغوية بقدر ما مكنته الظروف، ولأول مرة رتبها في معجم، وليس قبله معجم يحتذيه، ثم نزداد ذهولا لهذه القدرة الفائقة، عندما نجد الرجل "يبتكر" –وأرجوك ألا تدع هذه الكلمة تمضي أمامك وأنت مغمض العينين– يبتكر طريقة فريدة في ترتيب الألفاظ في معجمه"(٧٢). نلحظ في هذا المثال أن تعيين الفعل الأدائي (أرجوك) مع متبوعا بالنهي (ألا تدع)، مع توظيف الجملة الفعلية المتضمنة ظرفا (تمضي أمامك)، والجملة الدالة على حالة سلبية (وأنت مغمض العينين) قد جعله يظهر في مظهر من يتودد إلى القارئ، فيؤثر في نفسيته، ويحمله على الاقتناع العقلي، ويستجيب له، وقد عمل فعل الرجاء على تلطيف قوة الملفوظ وتخفيف حدة الأمر المباشر بالمنهي عنه، وبذلك يكون قد وطد العلاقة مع المخاطب الذي يستجيب ويقبل خطابه لأنه دخل إليه من مدخل اللباقة والاحترام، ومن ناحية أخرى يكون قد احتاط من انصراف القارئ عن فكرته بلفت انتباهه إليها.

ب-التحوط بالروابط (روابط اتساق الخطاب):

الربط من أهم الظواهر التركيبية في بناء النصوص والخطابات، التي تسهم في اتساقها، وتسلسلها الذهني والمنطقي؛ لما تقوم به من تأطير العلاقات والأواصر التي تسهم في ضم المؤتلف والمختلف، والمتشابه والمتباين، في بناء

متلاحم، "يأخذ بعضه بحجز بعض"[٧٣]، فتشكل معاني النحو كما قال الجرجاني؛ وتسهل عملية الفهم والإفهام. ولا يقتصر دور الروابط على أداء وظائف نحوية وشد الأواصر، وربط الجمل والكلمات بعضها بعضا فقط، بل توظف بعض الروابط في تحقيق كثير من استراتيجيات الخطاب، ومنها استراتيجية التحوط التي توظف فيها الأدوات للاحتراز، ولإضعاف قوة المنطوق، ومن ذلك روابط التضاد Contrajunction: (على الرغم من، ومع أن، وبالعكس من ذلك، وبغض النظر، ولكن، ومع ذلك، في حين...إلخ)، وروابط الاستثناء والتنازل Adversative: (على الرغم من ذلك، ومع ذلك، وحتى لو...إلخ)، وروابط المدة والتتابع الزمني Temporal ويمثلها الرابط (أحيانا).

ومن الأمثلة قوله: "كانت نظرة الإخوان إلى كثير من المسائل نظرة عقلية فيها نفاذ ودقة تحليل، لكن ذلك لم يمنع من ورود لحظات كثيرة جدا قد تنبئ بأنهم لم يكونوا من العقلانيين الخُلَّص، بل مزجوا عقلانيتهم بكثير من النظرات اللا عقلية"[٧٤]. إن استعمال روابط التضاد (لكن)، و(بل) هنا استعمل كأداة تحوط أضعفت من قوة المحتوى الإخباري حول نظرة إخوان الصفا للمسائل؛ فنمط اشتغال روابط التعارض يسمح بإقامة علاقة منطقية و/ أو حجاجية بين جملتين. ونجد هنا أن ما قبل (لكن) يسم إخوان الصفا بسمة إيجابية، وهي: (نفاذ النظرة ودقة التحليل)؛ لاعتمادها على العقل، وقد وظف الرابط (لكن) للربط التداولي بين قضيتين الثانية منهما تعارض الأولى وتقلل منها؛ لأنها تصمهم بسمة سلبية تؤدي إلى نتيجة مفادها أنهم ليسوا من العقلانيين الخُلَّص، وكثيرا ما تشوبهم النظرة اللاعقلانية في بعض المناحي مثل نظرتهم للسحر، والطلسمات

واعتبارهما علما من العلوم. فالأداة (لكن) تنفي كلاما، وتثبت غيره (نفت عنهم العقلانية وأثبتت اللاعقلانية)، وجاء دور الأداة (بل) لتزيد من إضعاف قوة المحتوى؛ لأنها تنفي احتمال وتثبت حقيقة، من خلال الإضراب عن حكم سلبي سابق: (إخوان الصفا ليسوا من العقلانيين الخلص، ويحتمل هذا الحكم أن تكون الأمور اللا عقلانية قليلة عندهم) إلى حقيقة وحكم أكثر سلبية (أنهم مزجوا عقلانيتهم بكثير من النظرات اللاعقلانية) الذي برز من خلال استعمال الصفة (بكثير).

الخاتمة:

وختاما، فقد أسس هذا البحث على فرضية أن التحوط بوصفه استراتيجية خطابية قصدية، له حضور في الخطاب الفلسفي –بعده نوعا من أنواع الخطابات في المجتمع– فهو ليس كائنا فكريا فقط، بل يتمتع ببعد تداولي، وتوصيلي على قدر من التنوع والثراء، وأنه يوظف ما توظفه الخطابات الأخرى من استراتيجيات، وأدوات لسانية. وقد اختير كتاب "المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري" لزكي نجيب محمود" كنمط من أنماط الخطاب الفلسفي، الذي قدم لنا إطارا جيدا لاختبار الفرضية، وأسهم في تقديم تصور عن الظاهرة، وآليات اشتغالها والوظائف التي تنهض بها.

وقد تطرق البحث إلى بعض المفاهيم والإشكالات النظرية، مثل: ما التحوط؟ وما آليات تحققه؟ وما وظيفته؟ وإلى من يوجّه؟ وما العلاقة بينه وبين بعض المفاهيم القريبة منه في الوظيفة، التي تصب في جملتها نحو التصدي للخطر الذي يهدد عملية التواصل؟ واقتضى بيان ذلك العودة إلى عدد من

الدراسات التي أفرزته في الثقافتين الغربية والعربية وعقدنا مقارنة حول استعمال التحوط في الثقافتين. هذا وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها ما يأتي:

أولا- نتائج الدرس النظري:

١- لم يخرج المعنى الاصطلاحي للتحوط في الدرسين العربي والغربي عن معناه اللغوي فهو في اللغة الحفظ، والتعهد، والحذر، وجلب المنفعة، ودفع الضرر، والمراوغة، والتملص من الجواب المباشر لتفادي الخسارة.

٢- وقفت الدراسة على أن مصطلح التحوط ظهر في الأدبيات اللسانية الغربية عام ١٩٦٦م. على يد "فاينريش"، ولكنه لم يكتسب أهمية إلا مع "لاكوف" Lakoff, G. عام ١٩٧٢م. الذي لم يتناوله بالمفهوم التواصلي، وإنما بالمفهوم المنطقي البحت. وقد استثمره اللسانيون ووظفوه على نطاق واسع في مجالات: علم اللغة التطبيقي (تعليم اللغة الثانية)، وتحليل الخطاب (خطابات التواصل اليومي، والتأدب، وافتراض وجود لغة خاصة بالمرأة تختلف في توظيف الاستراتيجيات توظيفا مختلفا عن توظيف الرجل لها). وكذلك في المجال العلمي الأكاديمي (كيف يعبر الباحثون عن نواياهم ومقترحاتهم ويتفادون ردود الأفعال والصدام).

٣- مفهوم التحوط في اللسانيات الغربية له ما يقاربه في التراث العربي -من حيث الوظيفة- إذ حوى التراث عددا من المصلحات التي تحمل بذور المفهوم، مثل: (الاحتراس، والتتميم، والإطناب، والتكميل، والمواربة)

ووجه الشبه بين التحوط بالمفهوم الغربي، وهذه المصطلحات العربية هو أنها جميعا وسائل خطابية هدفها تعديل القوة الإنجازية، وتشير إلى مستوى من الحذر يُفْرَضُ على المتكلم، وتقتضيه ظروف الإنتاج والتواصل، ولكن يختلف المصطلح الغربي عنها في التَّوَجُّه، فالمصطلحات العربية تتوجه نحو تحقيق هدفين: الأول- هو التوضيح ودفع التوهم عن المتلقي، والثاني- التعبير عن اليقين. أي أنه يدخل في باب تعزيز القوة الإنجازية. في حين أنه على العكس من ذلك في الأدبيات اللسانية الغربية التي يوظف التحوط بهدف التعبير عن الشك، والتردد، وإدخال الغموض، والتهرب من المسؤولية، وغير ذلك من الأهداف الأخرى التي تفصح عنها السياقات أي أنه يوظف في إضعاف القوة الإنجازية، وهو عكس توظيفه في تراثنا العربي.

٤- يتداخل مفهوم التحوط في الأدبيات اللسانية الغربية مع مفاهيم التوهين: والتلطيف، والتلطف،... فعلاقة التحوط بالتوهين تكمن في أن كل تحوط بالضرورة توهين، والعكس ليس كل توهين بالضرورة تحوطا؛ لأن التوهين قد يتعلق بأغراض أخرى لا علاقة لها بالتحوط. أما علاقة التحوط بالتلطيف أنه ليس كل تحوط تلطيفا، والعكس صحيح ليس كل تلطيف تحوطا.

ثانيا- نتائج الدراسة التطبيقية:

١- وقفت الدراسة على أن الخطاب الفلسفي ليس كائنا فكريا فقط، بل يتسم بأبعاد تواصلية تتجاوز معطيات الإخبار والتعبير، إلى الإنجاز،

والتوصيل، والإثارة، والتأثير، وأنه قد وظف استراتيجية التحوط كما يوظفها الخطاب السياسي، والخطاب العلمي الأكاديمي، وخطاب الحديث اليومي الاجتماعي ولا فرق في ذلك.

٢- وقفت الدراسة على أن خطاب المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري لزكي نجيب محمود خطاب تحوطي بامتياز، حيث انتشرت الظاهرة انتشارا واسعا فلا تكاد تخلو صفحة واحدة من توظيف استراتيجية التحوط، كما أن خطاب المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري قد استوعب كل الأدوات والوسائل المعتمدة في استراتيجية التحوط.

٣- وقفت الدراسة على أن وظائف استراتيجية التحوط في الخطاب الفلسفي في المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري تتفرع إلى استراتيجيات عديدة ذات وظائف خاصة، يمكن إجمالها في الآتي:

أ- استراتيجية تعزيز البعد الذاتي Strategy of subjectivisation: وفيها يعبر عن أن القضايا يمكن تفسيرها على أنها عبارة عن رأي شخصي ذاتي، يمثل وجهة نظر ذاتية حول الطرح، لأن الكلام كما يقول هاليداي ليس عنصرا فكريا فحسب، بل هو عنصر شخصي أيضا. وهذه الاستراتيجية تجعل الأحكام قابلة للنقاش والإدلاء بالرأي الآخر، واقتراح البدائل الممكنة. بهذه الطريقة يُظهر الاحترام للرأي البديل للقارئ ويدعوه للانخراط في الموقف التواصلي. وكانت أدوات هذه الاستراتيجية، هي: الأفعال الأدائية المسندة إلى ضمير المتكلم المستتر وجوبا، مثل: (أفترض، وأرى، وأقترح، وأستبعد، وواضح لي...)، ومن أدواتها أيضا أفعال الاعتقاد: (أظن، وأحسب، وأخال، وأعتقد...)، وكذلك الظروف،

والكلمات، والتراكيب الدالة على الترجيح، نحو: (الراجح، وفي تقديري، وعندي، وحسب علمي، وفي ظني،...).

ب-استراتيجية تقليص الحضور Strategy of depersonalisation: وهي عكس الاستراتيجية السابقة، وفيها يقلص زكي نجيب محمود حضوره الذاتي في الخطاب، ويقلل من وجوده بالوسائل، والتراكيب غير الذاتية، التي توظف في التعميم، وأدواتها: الألفاظ التي لا تحيل على ذات، والتي تستبدل فيها الذات ببعض الكيانات غير البشرية (النتائج، الإحصاءات، البيانات)، كأن يقول مثلا: (تشير النتائج إلى...، وتكشف هذه البيانات عن...)، ومن أدواتها أيضا المبني للمجهول، وألفاظ الاستنتاج التي تسبق الرأي، مثل: (بناء على كذا نقول...، ومن البدهي استخلاص كذا ...)، ومنها أيضا التعبير بشكل موارب عن وجهة نظره والتكلم بلسان الآخر، متهربا بتحميل تبعات الكلام على غيره كأن يقول: (كما يقول فلان، حسب رأي فلان، كما يصفهم فلان...)، فهذه الأدوات تضعف من درجة الذاتية، ومن ثَمَّ من درجة الالتزام بصدق القضية المعبر عنها، وتقل مسؤوليته تجاه الكلام، ومن ناحية أخرى يظهر في مظهر المصداقية.

ج- استراتيجية التجنب Strategy of avoidance: وفيها يكون التهرب بتجنب الحسم، ويظهر فيها زكي نجيب محمود، وكأنه لا يملك القول الفصل والحكم النهائي، فيتجنب الإدلاء بتأكيدات قاطعة عندما تكون البيانات الدقيقة مفقودة، أو كانت غير ذات صلة بالنتائج الأولية، أو يشك فيها. ومن أدواتها: أدوات التقريب (قد، وربما...)، والأدوات

الناسخة (لعل، وكأن...)، بعض الأفعال: (أظن، وأتصور، وأعتقد، ويمكن، يبدو، ...)، والأسماء، والمركبات الدالة على الترجيح: (الراجح، والغالب، ومن المرجح، وعلى الأرجح، من الممكن...).

د- استراتيجية عدم التحديد Strategy of indetermination: ويطلق عليها استراتيجية الغموض المتعمد Strategy of intentional vagueness، فعلى عكس البيان والوضوح الذي هو مطلب التواصل وهدفه الأسمى، جاء الغموض النسبي وعدم التحديد لدواع دفعته إلى تقليل دائرة الجزم والتأكيد، ربما لأنه لا يملك أدلة قاطعة، وإنما يملك بعض القرائن. وأدواتها: (جدا، ونوعا ما، وأحيانا، وبعض، ومعظم، وإلى حد ما، بوجه من الوجوه، وحوالي كذا، وما بين كذا وكذا...) التي توفر طريقة للتحدث عما لا يقال، ويقع في منطقة وسطى من درجات خطاب ذي حدين شفاف وغامض.

هـ- استراتيجية التنسيب والتقريب Strategy of attribute: وفيها يجعل الأمور نسبية، وهي استراتيجية منطقية، تكون عندما يريد أخذ الحيطة، وتجنب الالتزام بقيم حقيقة البيان الذي ينطق به، أو الرغبة في عدم التعبير بهذا الالتزام بشكل قاطع، ومن أدواتها: (تقريبا، ونسبيا، وغالبا، وبشكل عام...). فالأداة (تقريبا) مثلا إذا وجدت في سياق فإنها تُقَلِّصُ عدد التأويلات ولا تلغيها تماما وتوجِّه الخطاب نحو التأويل الأقرب.

٤- يكثر التحوط عند زكي نجيب محمود عندما يتناول بالنقد قضية لا عقلانية في مشروع مفكر من المفكرين والعلماء التراثيين، الذين اشتهر عنهم أنهم عقلانيين في غير هذه القضية، أو عندما يقارن بين رؤيتين

متشابهتين، أو مختلفتين مما يشكل على العقل، مما يعني أن التحوط في خطاب المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري نتاج لموقف فكري وعقلي وظاهرة ذاتية تعمل داخل السياقات.

٥- وقفت الدراسة على أن التحوط في الخطاب الفلسفي لا يقتصر على نوع واحد فقط، وإنما تحكمه عوامل مادية وفكرية بعضها يتعلق بالمؤلف، وبعضها يتعلق بالمتلقي، بعضها يتعلق بالمحتوى الإبلاغي. يوجه التحوط نحو المتكلم عندما يريد أن يعبر عن الذاتية، وتقديم الأحكام كوجهة نظر شخصية، أو في تجنب الذاتية؛ رغبة في عدم تحمل تبعات الكلام. ويكون موجها نحو المتلقي عند إرادة خلق علاقة معه، وفتح الباب أمامه للنقاش الفكري. ويكون موجها نحو المحتوى عند الرغبة في تخفيف العلاقة بين التمثيل العقلي الافتراضي للأشياء في الذهن وما هي عليه في الواقع فيما يخص الخطاب الذي يرغب في تقديمه على أنه مشكوك فيه، أو متردد في الحكم عليه، أو أنه لا يملك الأدلة القاطعة على ما يقول. وقد وقفت الدراسة على أن التحوطات نحو المحتوى في خطاب المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري تفوق التحوطات الموجهة نحو المتكلم وأخيرا التحوطات الموجهة نحو المتلقي. وأنه يؤدى من خلال الوسائل التركيبية أكثر منها بالوسائل المعجمية، وأخيرا الوسائل الخطابية.

الحواشي:

(١) محمود، زكي نجيب: ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص٨٣.

(2) Mintzberg, Henry, 1994. The Rise and Fall of Strategic Planning: Reconceiving Roles for Planning, Plans, and Planners. New York: The free Press. P.2

(٣) أبو العزم، عبد الغني: معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ج١/ ١١٥.

(٤) عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، المجلد الأول، ص٩٠.

(٥) ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ترجمة: مطاع صفدي، وجورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ت، ص١٠٥. وينظر: دريفوس، أوبير، وراينوف يول: ميشال فوكو (مسيرة فلسفية)، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان،١٩٩٠، ص٢٠٠.

(٦) دي سوسير، فردينان: دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح الفرمادي، وآخرين، الدار العربية للكتاب، بيروت لبنان، ط١٩٨٥م.، ص١٧٤.

(7) N. S. Doniach, 1972. The Oxford English- Arabic Dictionary of Current usage. Oxford University Press, Oxford & London. P.546.

(8) Pettersson, Granqvist, K.. 2013. Hedges, Boosters and Tag Questions in the Big Bang Theory: A Gender Perspective, Switzerland, Göteborgs Universitet, (Unpublished BA thesis). [Google Scholar], p. 4.

(9) Lakoff, G. 1972. Hedges: A study in Meaning Criteria and the Logic of Fuzzy Concepts. In p. peranteau., J. Levi., & G. Phares. (Eds). Papers from the Eighth Regional Meeting of Chicago: Chicago University Press. P.471.

(١٠) عبيد، حاتم: حضور الذات في الخطاب الجامعي من خلال ظاهرة التلطيف، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم والإنسانيات منوبة، تونس، ع٥٧، ٢٠١٢، ص٢١.

(11) Hyland, Ken. 1996. Writing without Conviction? Hedging in Science research articles, Applied Linguistics, Volume 17, Issue. December,1996, Pages (433-454), p.433.

(12) Myers, G. The pragmatic of politeness in scientific articles. Applied Linguistics, Vol. 10, Pages (1-35), p.7.

(١٣) الزبيدي، السيد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، وزارة الإعلام في الكويت، الكويت، ج١٩/٢٢٠.

(١٤) الجاحظ،: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠م، ج١/.

(١٥) القزويني، جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٥٦.

(١٦) ابن الأثير، نجم الدين: جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ٢٠٠٩م، ص٢٣٥.

(١٧) ابن جني: الخصائص، ج٣/ ١٠١،

(١٨) ابن جني: الخصائص، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية- المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٥٢م ج٣/ ١٠١.

(١٩) ابن جني: الخصائص، ج٣/ ١١١.

(٢٠) السيوطي، أبو الفضل جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١٤٢٦ هـ، ج٣/ ١٠٦٧.

(٢١) ابن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: محمود الشنقيطي، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.ت، ج٢/٥٨.

(٢٢) شاكر، منيب: العمل بالاحتياط في الفقه الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، توزيع دار النفائس بالرياض، ط١٤١٨هـ، ص٤٨.

(٢٣) عبيد، حاتم: حضور الذات في الخطاب الجامعي من خلال ظاهرة التلطيف، ص١٢.

(٢٤) الأزهري، الشيخ خالد: شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦، ج١٣٢/٢.

(25) Naděžda Kudrnáčová, 2010: Speaker's Involvement in Political Interviews, Ph.D document, Masarykova Univerzita, Filozofická, Fakulta, Katedra Anglistiky a amerikanistiky, Brno, Šeská republika, p.128

(26) Martinvisky, Bilyana, 2006. A framework for the analysis of mitigation in courts: Toward a theory of mitigation. Journal of pragmatics. Volume 38. December 2006. P. 2066.

(27) Gomez, M. Casas. 2009. Towards a new approach to the linguistic definition of euphemism, Language Sciences, Volume 31, Issue 6, November, 2009, p. p. 725-739, (Available online at www.sciencedirect.com)

(28) Ibid.

(29) Holmes, Janet, 1984. Modifying Illocutionary Force. Journal of Pragmatics Volume 8. June 1984. North-Holland. p.359.

(٣٠) محمود، زكي نجيب: المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م، ص ١٢٢.

(٣١) السيرافي، أبو سعيد: شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ج٤٥١/١.

(32) Holmes, Janet, 1984. Modifying Illocutionary Force. P.360.

(٣٣) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص٣٢٧.

(34) Naděžda Kudrnáčová, 2010: Speaker's Involvement in Political Interviews, p.128

(35) Ibid

(٣٦) محمود، زكي نجيب: المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري، ص٢٣٢.

(37) Hyland, K. 1998. Boosting, hedging and the negotiation of academic knowledge. TEXT: 18(3), 349-382. p.350

(38) Holmes, Janet, 1984. Modifying Illocutionary Force. P.360.

(٣٩) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٩.

(٤٠) الهروي، علي بن محمد: كتاب الأُزْهِيَّةِ في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملّوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، سوريا، ط٢، ١٩٩٣م، ص٢١٧.

(٤١) ابن يعيش، يعيش بن علي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، (د.ت)، ج٨/٨٦.

(42) Martin Martin, P. 2008. The Mitigation of Scientific Claims in Research Papers: International Journal of English Studies, Academic Writing: The Role of Different Rhetorical Convention, Murcia University, Spain, IJES, Vol.8 (2), 2008, pp. 133-152, p.136.

(٤٣) ينظر في هذه الأقوال المرادي، الحسين بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص٤٣٩-٤٥٧. وينظر الأزهية ص٢٦٦،

(٤٤) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٣٦٠.

(٤٥) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٢٣٦.

(٤٦) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص١٥٢.

(٤٧) الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م، ص٧١.

(٤٨) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص٣٠٣٣.

(٤٩) ريبول، آن، وجاك موشلار : التداولية اليوم عالم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٣١.

(٥٠) الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٥٥م، ج١/١٥٦.

(٥١) الاستراباذي، رضي الدين: شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط٢، ١٩٩٦، ج٤/١٥٠-١٥١.

(٥٢) الاستراباذي، رضي الدين: شرح الرضي على الكافية، ج٤/١٥٣.

(٥٣) السيرافي، أبو سعيد: شرح كتاب سيبويه، ج١/ ٤٥٠.

(٥٤) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص٣٢٦.

(٥٥) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص١٦٧-١٦٨.

(٥٦) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص١٦٧-١٦٨.

(57) Prince, Ellen, F., Frader, J. and Bosk, Ch. 1980. On Hedging in Physician- Physician Discourse. In R. J. Pietro (ed). Linguistics and the professions. New Jersey. Ablex, Norwood. P.25.

(٥٨) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص١٢٢.

(٥٩) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج٣/٢٣٧.

(٦٠) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص١٠٧.

(٦١) الهرمي، عمرو بن عيسى: المحرر في النحو، تحقيق: أمين عبد الله سالم، مؤسسة العلياء، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ج٣/٢٣٣.

(٦٢) ابن جني: الخصائص، ج٣/٢٦٩.

(٦٣) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص١٨٣.

(٦٤) الاستراباذي، رضي الدين: شرح الرضي على الكافية، ٤/٢٢٧.

(٦٥) محمود، زكي نجيب: المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م، ص ١٨٠.

(66) Brown, P. and Levinson, S. (1987). Politeness: Some Universals in Language Usage. Cambridge: Cambridge University Press. Pp.86-87.

(٦٧) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٦٨.

(٦٨) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٢٨٢.

(٦٩) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص١٠٥.

(٧٠) عبد المطلب، محمد: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص١٦١.

(٧١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ج٣/٥٦.

(٧٢) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٦٩.

(٧٣) حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٤، ص١٨٩.

(٧٤) محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص١٥٣.

المصادر والمراجع:

أولا- المراجع والمصادر العربية:

١. ابن الأثير، نجم الدين: جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ٢٠٠٩م.

٢. الأزهري، الشيخ خالد: شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.

٣. الاستراباذي، رضي الدين: شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط٢، ١٩٩٦م.

٤. الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٥٥م.

٥. الجابري، محمد عابد: الخطاب العربي المعاصر، قراءة تحليلية نقدية، دار الطليعة، بيروت، ط٥، ١٩٩٤م.

٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية-المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٥٢م.

٧. حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٤.

٨. دريفوس، أوبير، ورابنوف يول: ميشال فوكو (مسيرة فلسفية)، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان،١٩٩٠م.

٩. دي سوسير، فردينان: دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح الفرمادي، وآخرين، الدار العربية للكتاب، بيروت لبنان، موشلار : التداولية اليوم عالم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة ط١٩٨٥م.

١٠.ريبول، آن، وجاك والنشر، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١١.الزبيدي، السيد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، وزارة الإعلام في الكويت، الكويت، ط ١٩٧٤م.
١٢.الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).
١٣.السيرافي، أبو سعيد: شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
١٤.السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١٤٢٦هـ.
١٥.شاكر، منيب: العمل بالاحتياط في الفقه الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، توزيع دار النفائس بالرياض، ط١٤١٨هـ.
١٦.الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
١٧.صلاح نَيُّوف: مدخل إلى الفكر الاستراتيجي، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، كلية العلوم السياسية، د.ت
١٨.عبد المطلب، محمد: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
١٩.العبد، محمد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٠.عبيد، حاتم: حضور الذات في الخطاب الجامعي من خلال ظاهرة التلطيف، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم والإنسانيات منوبة، تونس، ع٥٧، ٢٠١٢،
٢١.أبو العزم، عبد الغني: معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

٢٢.عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٣.ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
٢٤.القزويني، جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٥.محمود، زكي نجيب: ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.
٢٦.محمود، زكي نجيب: المعقول واللا معقول في تراثنا الفكري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م.
٢٧.المرادي، الحسين بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
٢٨.ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ترجمة: مطاع صفدي، وجورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ت
٢٩.ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
٣٠.الهرمي، عمرو بن عيسى: المحرر في النحو، تحقيق: أمين عبد الله سالم، مؤسسة العلياء، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٣١.الهروي، علي بن محمد: كتاب الأُزْهِيَّةِ في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملّوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، سوريا، ط٢، ١٩٩٣م.
٣٢.ابن يعيش، يعيش بن علي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، (د.ت).

ثانيا– المراجع الأجنبية

33. Brown, P. and Levinson, S. 1987. Politeness: Some Universals in Language Usage. Cambridge: Cambridge University Press. Pp.86-87.
34. Fraser, B. 2010. Pragmatic Competence: The case of Hedging. In G. Kaltenbok, W. & S. Schnieder (Eds.). New Approaches to Hedging 1st ed. (pp. 15-34) Bingley, UK: Emerald Group publishing limited.
35. Gomez, Miguel Casas. 2009. Towards a new approach to the linguistic definition of euphemism, Language Sciences, Volume 31, Issue 6, November, 2009, p. p. 725-739, (Available online at www.sciencedirect.com)
36. Holmes, Janet, 1984. Modifying Illocutionary Force. Journal of Pragmatics Volume 8. June 1984. North-Holland.
37. Hyland, Ken. 1996. Writing without Conviction? Hedging in Science research articles, Applied Linguistics, Volume 17, Issue. December,1996, Pages (433-454).
38. Hyland, K, 1998. Boosting, hedging and the negotiation of academic knowledge. TEXT: 18(3), 349-382.
39. Lakoff, G. 1972. Hedges: A study in Meaning Criteria and the Logic of Fuzzy Concepts. In p. peranteau., J. Levi., & G. Phares. (Eds). Papers from the Eighth Regional Meeting of Chicago: Chicago University Press.
40. Martin Martin, P. 2008. The Mitigation of Scientific Claims in Research Papers: International Journal of English Studies, Academic Writing: The Role of Different Rhetorical Convention, Murcia University, Spain, IJES, Vol.8 (2), 2008, pp. 133-152.

41. Martinvisky, Bilyana, 2006. A framework for the analysis of mitigation in courts: Toward a theory of mitigation. Journal of pragmatics. Volume 38. December 2006
42. Myers, G. 1989. The pragmatic of politeness in scientific articles. Applied Linguistics, Vol. 10, (1-35).
43. Naděžda Kudrnáčová, 2010: Speaker's Involvement in Political Interviews, Ph.D document, Masarykova Univerzita, Filozofická, Fakulta, Katedra Anglistiky a amerikanistiky, Brno, Šeská republika.
44. Pettersson, Granqvist, K. 2013. Hedges, Boosters and Tag Questions in the Big Bang Theory: A Gender Perspective, Switzerland, Göteborgs Universitet, (Unpublished BA thesis). [Google Scholar].
45. Prince, Ellen, F., Frader, J. and Bosk, Ch. 1980. On Hedging in Physician- Physician Discourse. In R. J. Pietro (ed). Linguistics and the professions. New Jersey. Ablex, Norwood.

The Hedging Strategy in Philosophical Discourse: "The Rational and the Irrational in Our Intellectual Heritage" by Zaki Naguib Mahmoud.

Abstract:

Hedging is a universal pragmatic and discourse strategy that speakers employ to moderate their speech deliberately in order to achieve communicative and discourse goals. Despite the importance of hedging and its universality, the attention it has received in Arabic linguistics is less that it has received in Western studies, as the researcher, to his broad knowledge and exploration, did not confine himself to only one study dealing with hedging. Despite the universality of the concept or the term, it is confused with many other terms such as mitigation, attenuation, and others, not only in translation into Arabic, but also in other European languages; hence the main motive for conducting this researcher which aims at revealing the essence of this phenomenon and identifying its actual applications through a genuine Arabic philosophical text; namely "The Rational and the Irrational in Our Intellectual Heritage," a book by Zaki Naguib Mahmoud, to answer the following core questions: What is hedging? What is its use in communication? Why does a speaker resort to it? What are the linguistic devices that are used to express it? To whom is it addressed? What are the similarities, and also the differences – in terms of function – between hedging and attenuation on the one hand, and between hedging and mitigation on the other? When do mitigation and attenuation become hedging, and when do they not (since not every mitigation is hedging and not every attenuation is hedging)?

Key Words: Strategy – hedging – philosophical discourse – The Rational and the Irrational in Our Cultural Heritage – Zaki Naguib Mahmoud – attenuation – mitigation.